التأصيل والبيان
لردِّ أباطيل منصور النقيدان
في لقائه في "الليوان"

تقريظ

فضيلة الشيخ الدكتور
صالح بن سعد السحيمي الحربي
عضو هيئة التدريس
بالجامعة الإسلامية
بالمدينة النبوية
والمدرس بالمسجد النبوي

فضيلة الشيخ
سعيّد بن هليّل العمر الشمري
مدير المعهد العلمي في حائل "سابقًا"
وعضو التوعية الإسلامية
في الحج والعمرة والزيارة
بمكة المكرمة

كتبه

د. سعود بن مصلح بن حمدي الصاعدي

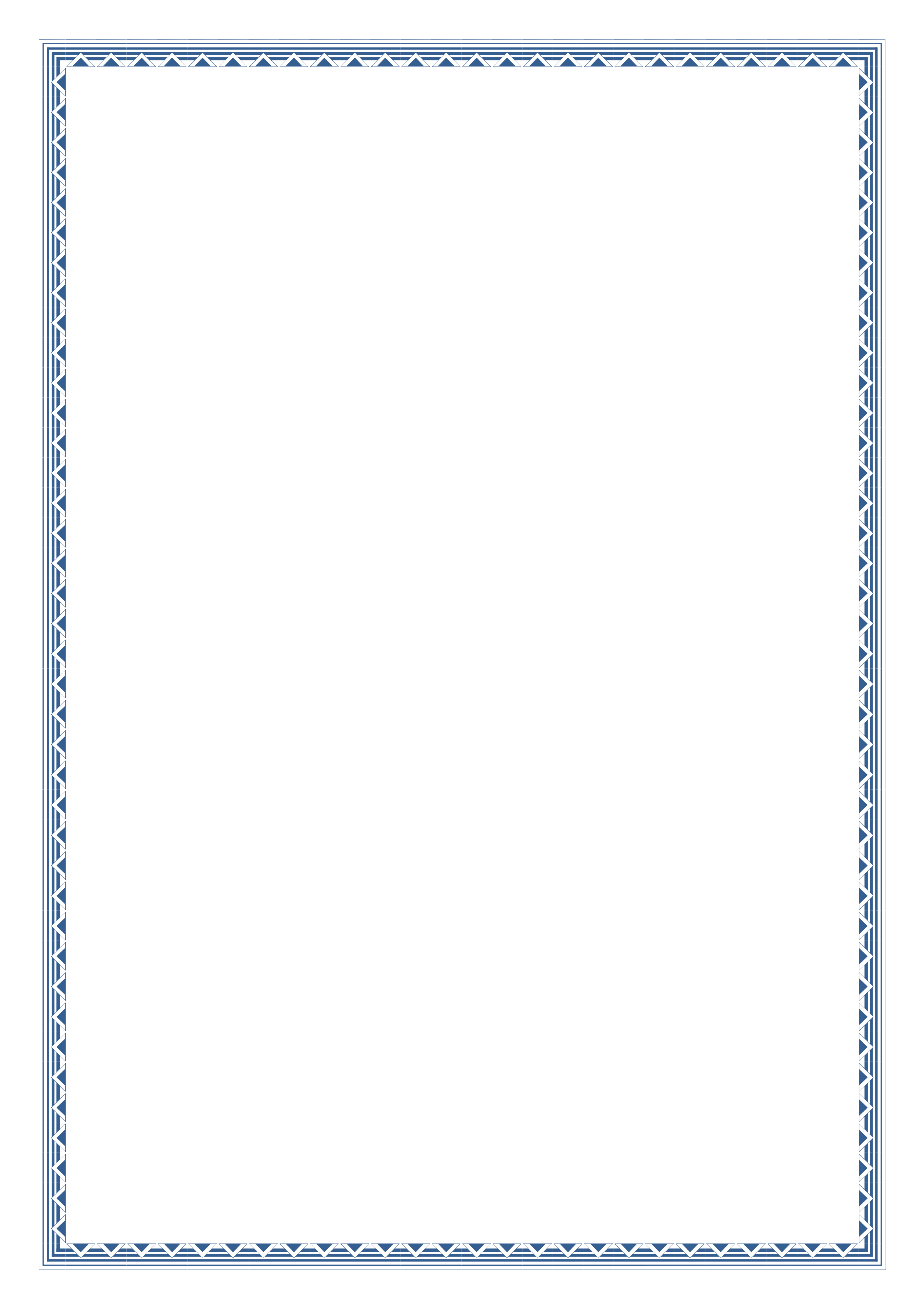
عضو هيئة التدريس بقسم العقيدة
بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية
بالمدينة النبوية

الطبعة الأولى ١٤٤٠هـ

التأصيل والبيان

لردِّ أباطيل منصور النقيدان

في لقائه في "الليوان"



التأصيل والبيان

لردِّ أباطيل منصور النقيدان

في لقائه في "الليوان"

تقريظ

فضيلة الشيخ الدكتور
صالح بن سعد السحيمي الحربي
عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية
بالمدينة النبوية
والمدرس بالمسجد النبوي

فضيلة الشيخ
سعيّد بن هليّل العمر الشمري
مدير المعهد العلمي في حائل "سابقًا"
وعضو التوعية الإسلامية في الحج والعمرة والزيارة
في مكة المكرمة

كتبه:

د. سعود بن مصلح بن حمدي الصاعدي

عضو هيئة التدريس بقسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين

بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية


بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن سعد السحيمي الحربي

د. صالح بن سعد السحيمي الحربي
المدرس بالمسجد النبوي
موجه الدعاة بفرع وزارة الشؤون الإسلامية بالمدينة النبوية
عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية (سابقاً)

بسم الله الرحمن الرحيم

Dr. Salih Saad Al-Suhaimi Al-Harbi
Teacher at the Mosque of the Prophet
Inspector of the Preachers in the Ministry of Islamic Affairs, Madinah Branch
Member, Teaching Staff at the Islamic University of Madinah Munawwarah

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فقد تصفحتُ الردَّ العلمي الموسوم ب: (التأصيل والبيان لردِّ أباطيل منصور النقيدان في لقائه في الليوان) لكاتبه فضيلة الشيخ د. سعود بن مصلح الصاعدي، فوجدته بحمد الله ردّاً علميًا رصينًا، أبان فيه فضيلته بالبراهين الساطعة، ما وقع فيه الكاتب منصور النقيدان هدانا الله وإياه صراطه المستقيم، من طوام وبلايا مخالفة للكتاب والسنة والإجماع، منها تبجحه ودعواه أنه من غلاة المرجئة، وزعمه أن عقيدة الإلحاد يجب أن تحترم وأنها خيار للإنسان، نسأل الله العافية والسلامة، فأرجو أن ينفع الله بهذا الردِّ ويعظم لكاتبه المثوبة والأجر، إنه سميع مجيب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أملاه الفقير إلى عفو ربه

صالح بن سعد السحيمي

حرر في ١٤/١٠/١٤٤٢هـ

المملكة العربية السعودية – المدينة المنورة – ص.ب ٦٤٧ – فاكس ٨٤٧٣٦٣٤ – جوال ٠٥٠٥٣١٠٦٩٢
Saudi Arabia - Al-Madina Al-Munawwarah - P.O.Box 647 - Fax 8473634 - Mob. 0505310692

تقريظ فضيلة الشيخ سعيِّد بن هليِّل العمر الشمري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه أجمعين

أما بعد:

فقد اطلعت على الرد المسدد من الشيخ الدكتور/ سعود بن مصلح الصاعدي على المرجئ الغالي [باعترافه] منصور النقيدان، والذي ظهر على أحد الفضائيات وهو يشيد بمنهج المرجئة بل تجاوز وقال: أنه من غلاة المرجئة - عياذاً بالله من هذا المنكر العظيم والذنب الجسيم والذي عده السلف كفراً بالله رب العالمين - وهو حصر الإيمان بما في القلب من إقرار أو معرفة أو تصديق، ولا شك أن هذا قول غلاة المرجئة الذين كفرهم السلف، لأن الإيمان قول وعمل ونية يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وبدع السلف من فصل العمل عن الإيمان وعدوه من المرجئة لمخالفته عقيدة السلف.

وكذلك ثناؤه على الإلحاد وأهله وأنها عقيدة يجب أن تحترم وأنها خيار للإنسان! وقد جاهر بهذه الزندقة أمام الملأ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول:(كل أمتي معافى إلا المجاهرين) رواه البخاري ومسلم.

فعليه إعلان التوبة ما دام في زمن المهلة، وعلى ولاة أمر المسلمين وفقهم الله الأخذ على أيدي هؤلاء المنحرفين الزائغين.

و جزى الله فضيلة الشيخ الدكتور/سعود بن مصلح الصاعدي خير الجزاء على هذا البيان وجعله في ميزان عمله ، وصلى الله وسلم على نبينا ورسولنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه/

سعيد بن هليل العمر

سعيد بن هليل العمر

٩/١٠/١٤٤٠هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الأمين، مُحَمَّد بن عبد الله خاتم النبيين، وإمام المرسلين ﷺ وعليهم أجمعين، أما بعد:

فإنَّ الهداية إلى الإيمان والثبات عليه نعمة عظيمة امتن الله جل وعلا بها على عباده، وتفضل بها على خلقه؛ فقال جل وعلا في أول الحجرات: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٨﴾ [الحجرات: ٧-٨].

وقال جل وعلا في آخرها: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝١٧﴾ [الحجرات: ١٧].

قال السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنى الآية: «أي: هو الذي أنعم عليكم بإخراجكم من الكفر إلى الإيمان»[(١)].

والإيمان الذي أمر الله به وامتن به علينا وتفضل به وتكرم جل وعلا؛ هو ما اجتمع فيه ثلاثة أجزاء: القول والعمل والاعتقاد.

وذلك أنه قد تقرر عند أهل السنة والجماعة أن الإيمان قول وعمل

(١) تفسير السمعاني (٥/٢٣٢).

واعتقاد، قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

وخالفهم في الزيادة والنقصان الخوارجُ والمعتزلةُ -على تفصيل في نوع مخالفة كل منهم-

وخالفت المرجئة في ذلك أيضاً؛ فلم تقل بالزيادة والنقصان، وأخرجت العمل عن الإيمان -ومنهم من أخرج القول أيضاً- مخالفين بذلك الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم ﷺ أجمعين.

وقد تكاثرت الأدلة من الكتاب والسنة على دخول الأعمال في الإيمان.

وحيث قد ظهر في هذه الأيام بعض المفتونين ممن يتبنى عقائدَ غلاة المرجئة من الجهمية وغيرهم، ويجاهر بأخبث أقوالهم وعقائدهم، فزعم في ما زعم أن الإيمان الحقيقي هو الإيمان القلبي فقط، واستدل بحديث معناه: ((من قال: لا إله إلا الله صدقاً من قلبه دخل الجنة)) على إرجائه الغالي!، وذكر عن نفسه أنه منذ زمن بعيد كان يقتصر على صلاة الفجر فقط، ثم تركها؛ لأن العبادة بزعمه ليست ممارسة، وزعم أنه تجاوز هذه المرحلة إلى عقائد الفلاسفة، وأنه صار يعبد الله بالحب!!.

ولم يقتصر على ذلك البلاء، بل تجاوزه إلى مناغمة الإلحاد والملحدين -عياذاً بالله تعالى-.

ذلكم هو ما تفوه به الكاتب **منصور النقيدان** في قناة فضائية لها ذيع وصيت[١].

ومما تفوه به في تلك الفضائية قوله: إن الإلحاد عقيدة، وأنه خيار يجب عليك احترامه!![٢].

كما ذكر في مقال له سابق، وأكَّد عليه في هذا اللقاء المشار إليه: أن الصلاة يمكن أن تؤديها بقلبك إيماءً![٣].

فسبحان من طمس على بصيرته، وأضله على علم.

ولخطورة ما قاله وزعمه، ولكونه ذكر ذلك في الإعلام، ونشره على

---

(١) شاهد حلقة من برنامج الليوان في "خليجية" بعنوان: "حكايا في التحول الفكري"– نص اللقاء كاملاً مع منصور النقيدان من هنا:
.https://youtu.be/YFb3XoLtd4w
نشر في٢٢/٠٥/٢٠١٩م.

(٢) رابط الرد السريع QR:

(٣) نص كلامه: (لا تتعطل الحياة خمس مرات؛ لأداء صلاة، بإمكانك أن تؤديها في مكانك وأنت تقود سيارتك، أو **تؤديها بقلبك إيماءً**) المصدر : موقع إيلاف:
https://elaph.com/Web/Interview/2006/3/136004.html
نشر في الأحد ١٩ مارس ٢٠٠٦ م، وأكد عليه في لقائه في برنامج "الليوان" – المصدر السابق– وأضاف: بأنه من غلاة المرجئة"!!!.

الملأ في القنوات، وبلغ إفكه الآفاق؛ ولئلا يغتر بهذيانه جاهل، أو يلتبس باطله على غر؛ أحببت أن أحرر هذه الكتابة في تأصيل المسائل العقدية التي اجتاحها هذا الأفاك، وبيان غلطه وغلط سلفه فيها؛ نصيحة لله ولكتابه ولرسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم.

ومما يجدر التنبيه إليه في هذا المقام: أن الرد على المخالف من أصول الإسلام، ومما يصان به الدين الحق ويقام، وذلك مما أجمع عليه علماء المسلمين الأعلام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : «ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة؛ فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين، هذا أفضل.

فبين أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله؛ إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته، ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك **واجب على الكفاية باتفاق المسلمين**.

ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب؛ فإنَّ هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا

القلوب وما فيها من الدين إلا تبعاً، **وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء**»[(١)].

وبعد: فسوف يتضمن ردي على هذا المفتون بيان حقيقة الإيمان، وتلازم أجزائه، وأهمية العمل، ودخوله دخولاً أولياً في الإيمان، مدعماً ذلك بالأدلة من الكتاب والسنة وإجماع السلف، مؤيداً ذلك بأقوالهم، معرجاً على التعريف بالمرجئة وبيان أصنافهم، وما ورد عن السلف في ذمهم والنكير عليهم، مؤكداً على أهمية الصلاة، وبيان حكم تاركها، خاتماً برد إفكه في تسويغ الإلحاد.

وحيث كانت هذه الموضوعات من أبرز وأشنع ما تطرق إليه ذاك المفتون، وقد قال فيها من الباطل والإفك ما هو من جنس كلام أهل الزندقة والإلحاد؛ فسيكون الكلام دائراً في محيطها، والتأصيل والرد مقتصراً عليها.

وقد رأيت أن يكون النقاش معه فيها وفق المباحث الآتية:

المبحث الأول: أهميةُ القول في الإيمان، وبيانُ شروط كلمة الإخلاص، وكشفُ شبهة المرجئة في استدلالهم بحديث: «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة»، وفيه مطلبان:

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/٢٣١-٢٣٢).

المطلب الأول: أهميةُ القول في الإيمان، وبيانُ شروط كلمة الإخلاص.

المطلب الثاني: كشفُ شبهة المرجئة في استدلالهم بحديث: «من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة».

المبحث الثاني: أدلة الكتاب والسنة على دخول الأعمال في الإيمان، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ذِكرُ طرف من أدلة الكتاب على دخول الأعمال في الإيمان.

المطلب الثاني: ذِكرُ طرف من أدلة السنة على دخول الأعمال في الإيمان.

المبحث الثالث: إجماعُ السلف على أنَّ الإيمان قول وعمل، وأنَّ الأعمال من الإيمان، وذكرُ نماذج من أقوالهم، ورد زعم المفتون أن ذلك اجتهاد شخصي لبعض أهل الحديث والأثر، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ذِكرُ الأقوال التي فيها حكاية الإجماع على هذه المسألة.

المطلب الثاني: ذِكرُ نماذج من أقوال السلف في التلازم بين أجزاء الإيمان الثلاثة: القول والعمل والاعتقاد، ورد زعم المفتون أن ذلك اجتهاد

شخصي لبعض أهل الحديث والأثر.

المبحث الرابع: حاصلُ أقوال المرجئة في الإيمان، وبيانُ انحرافهم وغلطهم، والرد على المفتون في انتسابه إلى غلاة المرجئة. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حاصل أقوال المرجئة في الإيمان.

المطلب الثاني: بيانُ انحرافِ المرجئة وغلطِهم في الإيمان، وما ترتب عليه من الفساد، والرد على المفتون في انتسابه إلى غلاة المرجئة.

المبحث الخامس: ذمُّ السلف للمرجئة وتبديعُهم والنكيرُ عليهم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ذمُّ السلف لعموم المرجئة وتبديعُهم والنكيرُ عليهم.

المطلب الثاني: حُكم السلف على غلاة المرجئة –الجهمية–، والتشنيعُ عليهم.

المبحث السادس: فرضُ الصلاة، وأهميتُها، وحُكمُ تاركها، ومناقشةُ المفتون في مجاهرته بتركه للصلاة ، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: فرضُ الصلاة وأهميتُها.

المطلب الثاني: حكمُ تاركِ الصلاة، ومناقشةُ المفتونِ في مجاهرته بتركه للصلاة.

المبحث السابع: التنبيه إلى خطر الإلحاد، والردُّ على المفتري في تسويغه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التنبيه إلى خطر الإلحاد.

المطلب الثاني: الرد على المفتري في تسويغ الإلحاد.

وسميته:

التأصيل والبيان لرد أباطيل منصور النقيدان في لقائه في "الليوان"

أسأل الله أن يتقبل ذلك مني، وأن يجعله لوجهه خالصاً، ولا يجعل لأحد فيه شيئاً.

والله المستعان، وهو جل وعلا حسبنا ونعم الوكيل.

وصلى الله على نبينا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه:
أبو عبد الرحمن
د. سعود بن مصلح بن حمدي الصاعدي
عضو هيئة التدريس بقسم العقيدة
بكلية الدعوة وأصول الدين
بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية



المبحث الأول

أهمية القول في الإيمان وبيان شروط كلمة الإخلاص، وكشف شبهة المرجئة في استدلالهم بحديث: (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهمية القول في الإيمان، وبيان شروط كلمة الإخلاص

المطلب الثاني: كشفُ شبهة المرجئة في استدلالهم بحديث: «من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة».

المطلب الأول
أهمية القول في الإيمان، وبيان شروط كلمة الإخلاص

مما تفوه به ذاك المفتون في لقائه -وفاقاً لغلاة المرجئة الذين أكد انتماءه إليهم في لقائه-: أن الإيمان الحقيقي هو الإيمان القلبي![١].

فخرج بذلك من حقيقة الإيمان -عندهم- قولُ اللسان وعملُ الجوارح.

وترتب على ذلك عند هذا المفتري ما ترتب على أقوال سلفه من تحقير الإيمان، وتهوين شأنه، وحصره في خصلة واحدة، والاستهانة بالفرائض والتقليل من شأنها؛ حيث زعم أن العبادة ليست ممارسة!، وأنه يَعبد الله بالحب فقط، وأن الصلاة يمكن أن تؤدى إيماءً بالقلب!، وبناء على ذلك أقر بترك الصلاة بالكلية -والعياذ بالله-.

ولا عجب في ذلك؛ فالمنقول عن سلفه من الجهمية نحو ذلك:

قال أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وزعموا أن معرفة الله هي **المحبة له وهي الخضوع لله**... وزعموا أيضاً أنَّ الصلاة ليست بعبادة لله، وأنه لا

(١) رابط الرد السريع QR:

عبادة إلا الإيمان به، وهو معرفته، والإيمانُ عندهم لا يزيد ولا ينقص، وهو خصلة واحدة، وكذلك الكفر. والقائل بهذا القول أبو الحسين الصالحي))[١].

وقال البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ((وزعم الصالحي أن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط، والكفر هو الجهل به فقط...وزعم أن الصلاة والزكاة والصيام والحج **طاعات وليست بعبادة لله تعالى، وأن لا عبادة له إلا الإيمان به، وهو معرفته**، والإيمان عنده خصلة واحدة لا تزيد ولا تنقص))[٢].

فالصالحي الجهمي يقول: الإيمان هو المعرفة بالله فقط، وهي المحبة والخضوع.

وهذا المفتون يقول: الإيمان الحقيقي هو الإيمان القلبي فقط، وأنه يعبد الله بالحب فقط.

والصالحي يقول: الإيمان خصلة واحدة، وهي المعرفة فقط ثم فسرها بالحب والخضوع ولا عبادة لله إلا ذلك.

وهذا المفتون يقول: إنه يعبد الله بخصلة واحدة، وهي الحب فقط.

والصالحي يقول: الصلاة والزكاة والصيام والحج طاعات، وليست

(١) مقالات الإسلاميين (١/١١٥).

(٢) الفرق بين الفرق (ص: ٢٠٧).

بعبادة لله تعالى.

وهذا المفتون يقول: العبادة ليست ممارسة، وإنه يمكنك أن تؤدي الصلاة إيماءً بقلبك.

فأيُّ فرق بين كلامِ هذا المفتون، وكلامِ ذاك الصالحي الجهمي؟

بل كان الصالحي خيراً منه؛ حين عدَّ الصلاة والزكاة والصيام والحج طاعات، بينما هذا المفتون لا يرى الصلاة شيئاً ذا بال، وأنها يمكن أن تؤدى إيماءً بالقلب؛ لأن العبادة عنده ليست ممارسة!.

وإذا كان هذا رأيه في الصلاة التي هي عمود الإسلام؛ فما أظنه في ما دونها من الفرائض أحسن رأياً.

إن غلاة المرجئة ومن تبعهم كهذا المفتون -بحصرهم الإيمان الحقيقي في خصلة واحدة قلبية، وإخراجهم بقية الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة من حقيقة الإيمان- قد خالفوا بذلك الكتاب والسنة وعموم المسلمين.

فإن قول اللسان والنطق بالشهادتين شرط للدخول في الإسلام ، فلا يصح إسلام أحد إلا بعد النطق بهما، وهذا أشهر من أن يذكر عليه دليل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من صدَّق بقلبه ولم يتكلم بلسانه؛ فإنه لا يعلق به شيء من أحكام الإيمان لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يدخل في خطاب الله لعباده بقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة: ١٠٤]؛ لأنه من حيث البديهة والعقل نعلم أن من آمن بقلبه إيماناً

جازماً؛ امتنع ألا يتكلم بالشهادتين مع القدرة، فعَدمُ الشهادتين مع القدرة مستلزم انتفاءَ الإيمان القلبي التام، **وبهذا يظهر خطأ جهم ومن اتبعه في زعمهم أن مجرد إيمان بدون الإيمان الظاهر ينفع في الآخرة؛ فإن هذا ممتنع؛ إذ لا يحصل الإيمان التام في القلب إلا ويحصل في الظاهر موجَبه بحسب القدرة**))[١].

وقد قال الله تعالى عن المشركين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ۝٣٦ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣٧﴾ [الصافات: ٣٥ – ٣٧].

وكان النبي ﷺ يغشى مجالس قريش، ويقول لهم: «قولوا: لا إله إلا الله؛ تفلحوا»[٢].

ولما مرض عمه أبو طالب مرض الموت؛ طمع في إسلامِه وموتِه مؤمناً،

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/٥٥٣).

(٢) أخرجه ابن خزيمة في "صحيحه" (١/٢٧٤) برقم: (١٥٩) (كتاب الوضوء، باب ذكر الدليل على أن الكعبين هما العظمان الناتئان في جانبي القدم)، وابن حبان في "صحيحه" (١٤/٥١٧) برقم: (٦٥٦٢) (كتاب التاريخ، ذكر مقاساة المصطفى ﷺ ما كان يقاسي من قومه في إظهار الإسلام) من حديث طارق المحاربي رضي الله عنه. وممن صححه: ابن الملقن في البدر المنير: (١/٦٧٨).

فجاءه وقال له: «يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله»[١]، فأبى ومات على الشرك.

وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس، حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها، وصلوا صلاتنا، واستقبلوا قبلتنا، وذبحوا ذبيحتنا؛ فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله»[٢].

والشهادتان أساس الإسلام، وأول الإيمان؛ ففي حديث جبريل: «قال: أخبرني عن الإسلام؟ قال: "أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحَّداً رسول الله، وتقيم الصلاة....قال: أخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته...» الحديث[٣].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بني الإسلام على

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢/٩٥) برقم: (١٣٦٠) (كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله)، ومسلم في "صحيحه" (١/٤٠) برقم: (٢٤) (كتاب الإيمان، باب أول الإيمان قول لا إله إلا الله) من حديث المسيب بن حزن رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١/٨٧) برقم: (٣٩٢) (كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" (١/٢٨) برقم: (٨) (كتاب الإيمان) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان»(١).

والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة أشهر من أن تذكر فلا أطيل بذكرها.

فـ"لا إله إلا الله" هي كلمة الإسلام ، وعاصمةُ الدم والمال، فلا يكون العبد مؤمناً بالله إلا بقولها باللسان، واعتقاد معناها، والعمل بمقتضاها، فيعرف المسلم ما وضعت لأجله هذه الشهادة، وما دلت عليه، ويَقبله ويَنقاد للعمل به، وهي كلمة الإخلاص المنافي للشرك، وكلمة التقوى التي تقي قائلها من الشرك بالله.

وقد ذكر أهل العلم أنها لا تنفع قائلها إلا بشروط سبعة:

الأول: العلم بمعناها -نفياً وإثباتاً-.

والدليل عليه من الكتاب:

قول الله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١/١١) برقم: (٨) (كتاب الإيمان، باب دعاؤكم إيمانكم) ومسلم في "صحيحه" (١/٣٤) برقم: (١٦) (كتاب الإيمان، باب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بني الإسلام على خمس)، وزاد في رواية لمسلم: فقال رجل: الحج وصيام رمضان؟ قال: لا، صيام رمضان والحج ، هكذا سمعته من رسول الله ﷺ.

وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرف: ٨٦].

ومن السنة: حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله؛ دخل الجنة»(١).

الثاني: اليقين، وهو كمال العلم بها، المنافي للشك والريب.

والدليل عليه من الكتاب:

قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

ومن السنة : حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «...أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبدٌ غير شاك فيهما؛ إلا دخل الجنة»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٤١/١) برقم: (٢٦) (كتاب الإيمان ، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٤١/١) برقم: (٢٧) (كتاب الإيمان ، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار).

الثالث: الإخلاص، المنافي للشرك.

والدليل عليه من الكتاب:

قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥].

ومن السنة: حديث أبي هريرة ﷺ أنه قال: قيل: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال النبي ﷺ: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أوَّلَ منك؛ لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة ، من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه»[(١)].

الرابع: الصدق، المنافي للكذب، المانع من النفاق.

والدليل عليه من الكتاب:

قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ۝١٠﴾ [البقرة: ٨ – ١٠].

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه"(١/٣١) برقم: (٩٩) (كتاب العلم ، باب الحرص على الحديث).

ومن السنة: حديث أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ ومعاذٌ رديفُه على الرَّحْل، قال: يا معاذ بن جبل. قال: لبيك يا رسول الله وسعديك. قال: يا معاذ. قال: لبيك يا رسول الله وسعديك -ثلاثاً-. قال: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّداً رسول الله صدقاً من قلبه؛ إلا حرمه الله على النار»(١).

الخامس: المحبةُ لهذه الكلمة، ولما دلت عليه، والسرورُ بذلك.

والدليل عليه من الكتاب:

قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ١٦٥].

ومن السنة: حديث أنس بن مالك ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «ثلاثٌ من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣٧/١) برقم: (١٢٨) (كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا)، ومسلم في "صحيحه" (٤٥/١) برقم: (٣٢) (كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار)، وله تتمة.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٢/١) برقم: (١٦) (كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان)، ومسلم في "صحيحه" (٤٨/١) برقم: (٤٣) (كتاب الإيمان، =

السادس: القبول، المنافي للرد؛ فقد يقولها من يعرفها، لكن لا يقبلها ممن دعاه إليها؛ تعصباً، وتكبراً، كما قد وقع من كثير.

والدليل عليه من الكتاب:

قول الله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الصافات: ٣٥ – ٣٦].

ومن السنة: حديث أبي موسى الأشعري ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقية، قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب، أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفةً أخرى، إنما هي قيعان، لا تمسك ماءً، ولا تنبت كلأً، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به، فعَلِمَ وعَلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»[1].

السابع: الانقياد بحقوقها، وهي: الأعمال الواجبة إخلاصاً لله، وطلباً لمرضاته.

باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان).

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢٧/١) برقم: (٧٩) (كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم) ومسلم في "صحيحه" (٦٣/٧) برقم: (٢٢٨٢) (كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الهدى والعلم).

والدليل عليه من الكتاب:

قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء: ١٢٥].

ومن السنة:

حديث كتاب النبي ﷺ إلى هرقل عظيم الروم، وفيه: «بِسم اللهِ الرحمنِ الرحيمِ، من مُحَمَّد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلِم تَسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيّيْن، و ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤]»[١].

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى». قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»[٢].

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨/١) برقم: (٧) (بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله) من حديث أبي سفيان بن حرب رضي الله عنه مطولاً.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩٢/٩) برقم: (٧٢٨٠) (كتاب الاعتصام =

والانقياد هو حقيقة الإسلام؛ فإن الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد لله ورسوله ﷺ بالطاعة، والخلوص من الشرك، والبراءة منه ومن أهله[١].

وزاد بعضهم شرطاً ثامناً، وهو: الكفر بالطاغوت وبكل ما يعبد من دون الله.

ويمكن دخوله في ما قبله من الشروط كشرط الإخلاص؛ فإنه من لوازمه[٢]. والله أعلم

بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ).

وأخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١٩٦/١) برقم: (١٧) (المقدمة، ذكر إيجاب الجنة لمن أطاع الله ورسوله فيما أمر ونهى) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بمعناه. وقال عقبه: (طاعة رسول الله ﷺ هي الانقياد لسنته بترك الكيفية والكمية فيها، مع رفض قول كل من قال شيئاً في دين الله جل وعلا بخلاف سنته، دون الاحتيال في دفع السنن بالتأويلات المضمحلة، والمخترعات الداحضة).

(١) انظر: ثلاثة الأصول وشروط الصلاة والقواعد الأربع لشيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبدالوهاب (ص: ١٤).

(٢) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢٤٦/٢)، والدروس المهمة لعامة الأمة للشيخ ابن باز (ص:٦)، وشرح ثلاثة الأصول للشيخ صالح الفوزان (ص١٧٤).

وللتوسع في معرفة هذه الشروط وأدلتها وشرحها ينظر:

- شروط شهادة أن لا إله إلا الله – تأصيلاً ودراسة، د.مُحَمَّد عبدالله مختار مُحَمَّد، =

والمتأمل في الأحاديث السابقة التي ذكرت في أدلة شروط "لا إله إلا الله"؛ يجد أنها جعلت الشهادتين أو قول: "لا إله إلا الله" أساساً، ثم يأتي في سياق الدليل ذكر الشرط، وهذا مما يرد به على غلاة المرجئة، ومن ورثهم - كهذا المفتون- الذي قصر حقيقة الإيمان على الإيمان القلبي، فأبطل بذلك حقيقة الإيمان، بل أبطل الدين كله؛ لأنه يلزم من ذلك عدم الحاجة إلى إنزال الكتب وإرسال الرسل، بل إبطال الشرائع السماوية؛ لأن الإيمان يتحقق بدونها؛ فهو مجرد إيمان قلبي يكفي فيه الحب والخضوع القلبي فقط، دون ممارسة أي عبادة، أو التدين بدين.

فعلى ذلك إبليس وفرعون وعامة المشركين المقرين بربوبية الله مؤمنون! وإن لم يقولوا بألسنتهم: "لا إله إلا الله".

فأيُّ كفر وزندقة بعد هذا؟ -عافانا الله وإياكم من ذلك-.

يا (بَني) غلاةِ الإرجاء.. يا منصور..

إن هذه العقيدة الفاسدة لم تؤهِّل أحداً من البشر إلى حقٍّ عظيم من أسهل حقوقهم، ألا وهو عصمة الدم والمال التي يشترك فيها جميع المخاطَبين من المسلمين والمشركين والمنافقين.

إشراف أ.د محمد بن عبدالرحمن أبو سيف الشظيفي.

- شروط لا إله إلا الله، د. عواد بن عبد الله المعتق، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعة: السنة السادسة والعشرون - العددان (١٠١، ١٠٢) - ١٤١٤/١٤١٥هـ.
- تيسير الإله بشرح أدلة شروط لا إله إلا الله: للشيخ عبيد بن عبدالله الجابري.

كما تقدم في حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس، حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها، وصلوا صلاتنا، واستقبلوا قبلتنا، وذبحوا ذبيحتنا؛ فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله»[(١)].

وكما في حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: «بعثَنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سريَّة، فصبحنا الحرقات من جهينة، فأدركت رجلاً فقال: لا إله إلا الله، فطعنته، فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: أقال: لا إله إلا الله، وقتلته؟ قال: قلت: يا رسول الله، إنما قالها خوفا من السلاح، قال: أفلا شققتَ عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟ فما زال يكررها عليَّ حتى تمنيت أني أسلمتُ يومئذ»[(٢)].

فمن قال كلمة الإخلاص في سلم أو حرب وجب الكف عنه حتى يتبين من حاله بعد ذلك ما يحكم له أو عليه به؛ فيتبين لنا هل قال كلمة الإخلاص إسلاماً وإيمانا؟ فيلزمه -ليكون من المسلمين المؤمنين- الإتيانُ ببقية شرائع الإسلام والإيمان، أم قالها نفاقاً؟ مع إظهاره شعائرَ الإسلام الظاهرة، فيُقبل منه ذلك بناءً على الظاهر وحسابه على الله الذي توعد

---

(١) تقدم تخريجه ص (١٤).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٥/١٤٤) برقم: (٤٢٦٩) (كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة)، ومسلم في "صحيحه" -واللفظ له- (١/٦٧) برقم: (٩٦) (كتاب الإيمان ، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قَالَ لا إله إلا الله).

المنافقين بالدرك الأسفل من النار، أم قالها تخلصاً من القتل ورغبةً في حقن دمه وعصمة نفسه وماله؟ فيَلزمه أيضاً ما يلزم الراغبَ في دخول الإسلام من الإتيان بشرائعه والالتزام به وإلا قُتل كافراً.

وليت شعري إذا كان الإيمان الحقيقي هو الإيمان القلبي فقط؛ فما الفرق بين المسلم والمنافق والكافر غير الملحد؟ وكيف تتبين لنا هذه الأمور؟ إذ لا يمكننا الشق عن القلوب لمعرفة ضمائر الصدور.

أم أن الأمر على ما يقوله هذا المفتون: ((إن المؤمنين عندي سواء مسلمهم أو بوذيهم ويهوداً أو مسيحيين))[1]!!.

وقد قال الله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝٣٦﴾ [القلم: ٣٥ – ٣٦].

وسيأتي في المبحث الثاني التأكيد على التلازم بين القول والعمل في الإيمان، وأن القول أساس وثيق، وركن ركين في الإيمان، وأنه لم ينازع فيه إلا القليل، بينما المنازعون في دخول العمل عامةُ أصناف المرجئة؛ لذلك كان نقاش السلف معهم كثيراً في العمل وقليلاً في القول؛ لندرة المخالفين فيه. والله أعلم.

(١) انظر: لقاء مع النقيدان بعنوان " لست فقاعة" في موقع إيلاف
https://elaph.com/Web/Interview/2006/3/136004.html
نشر بتاريخ الأحد ١٩ مارس ٢٠٠٦م.

المطلب الثاني:
كشف شبهة المرجئة في استدلالهم بحديث:
«من قال: "لا إله إلا الله" دخل الجنة»

مما استدل به المرجئة على إرجائهم الفاسد؛ الأحاديث الدالة على أن من قال: "لا إله إلا الله" دخل الجنة. كحديث أبي ذر ﷺ: «ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة»[(١)]. ونحوه من الأحاديث.

وسيتبين لنا أنه ليس لهم فيها أي مستمسك بحمد الله.

ومن تناقض غلاة المرجئة هنا: استدلالهم بهذا الحديث مع قولهم: إن الإيمان هو مجرد ما في القلب؛ فليس قول اللسان ولا عمل الجوارح داخلاً عندهم في الإيمان.

والحديث الذي استدلوا به: «ما من عبد قال: لا إله إلا الله...»

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٤٩/٧) برقم: (٥٨٢٧) (كتاب اللباس، باب الثياب البيض)، ومسلم في "صحيحه" (٦٦/١) برقم: (٩٤) (كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات مشركا دخل النار) مطولاً.

ظاهره في القول لا في عمل القلب.

ومن جنس هذا التناقض -بل هو أشنع منه- ما وقع فيه ذاك المفتون، فإنه أشار إلى الأحاديث التي قيدت قول لا إله إلا الله بصدق القلب، ثم قال: إن الإيمان الحقيقي هو الإيمان القلبي فقط!، مع أن الحديث الذي أشار إليه نص على الأمرين معاً القول وصدق القلب(١).

وهذا تحكم بلا دليل –كما سيأتي بيانه-، يرد عليه، وعلى كل من فرق بين أجزاء الإيمان الثلاثة: القول والعمل والاعتقاد.

والوقوع في مثل هذا التناقض هو من طمس البصائر، وهو من الاختلاف الذي يستدل به أهل الحق على بطلان الباطل، وتميز الحق عنه كما قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

فيقال للمرجئة الذين أخرجوا العمل من الإيمان، واستدلوا بتلك الأحاديث:

إن الحديث الذي استدللتم بظاهره لم يذكر فيه عمل القلب أو تصديقه أو الإيمان القلبي، فما قولكم؟ فإن قلتم: الإيمان القلبي لا بد منه ؛ لأدلة خارجية اقتضت ذلك، ولأنه لا يسمى ذلك إيماناً بدونه؛ قلنا:

(١) رابط الرد السريع QR:

وكذلك عمل الجوارح لا بد منه؛ لأدلة خارجية أيضاً اقتضت ذلك، ولأنه لا يسمى ذلك في الشرع إيماناً بدون عمل الجوارح.

فإما أن تُخرجوا الجميعَ -عمل القلب والجوارح- وترتِّبوا على القول وحده صحةَ الإيمان والنجاةَ ودخولَ الجنة؛ فيَلزمكم قولُ الكرامية.

وإما أن تُدخلوا الجميعَ -القول والعمل- وترتّبوا عليه صحةَ الإيمان والنجاةَ ودخولَ الجنة؛ فيَلزمكم قولُ أهل السنة -وهو الحق والمقصود-، وإلا كنتم متناقضين.

وقد أشار إلى مثل هذا الإلزام ابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ في الرد على المرجئة، ونقْضِ استدلالهم بمثل هذه الأحاديث:

فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولئن جاز للمرجئة الاحتجاج بهذه الأخبار -وإن كانت هذه الأخبار ظاهرها خلاف أصلهم، وخلاف كتاب الله وخلاف سنن النبي ﷺ؛ جاز للجهمية الاحتجاج بأخبار رويت عن النبي ﷺ إذا تُؤولت على ظاهرها، استحق من يعلم أن الله ربُّه وأن مُحَمَّداً نبيُّه الجنةَ، وإن لم يَنطق بذلك لسانُه...يحتجون بأخبار مختصرة، غير متقصاة، وبأخبار مجملة غير مفسرة، لا يفهمون أصول العلم، يستدلون بالمتقصى من الأخبار على مختصرها، وبالمفسر منها على مجملها.

قد ثبتت الأخبار عن النبي ﷺ بلفظةٍ لو حُملت على ظاهرها كما حَملت المرجئةُ الأخبارَ التي ذكرناها في شهادة أن لا إله إلا الله على

ظاهرها؛ لكان العالم بقلبه أن لا إله إلا الله مستحقاً للجنة، وإن لم يُقر بذلك بلسانه، ولا أقر بشيء مما أمر الله تعالى بالإقرار به، ولا آمن بقلبه بشيء أمر الله بالإيمان به، **ولا عمل بجوارحه شيئاً أمر الله به، ولا انزجر عن شيء حرمه الله**، مِن سفك دماء المسلمين، وسبي ذراريهم وأخذ أموالهم، واستحلال حُرُمهم، فاسمع الخبر الذي ذكرت أنه غير جائز أن يحمل على ظاهره، كما حملت المرجئة الأخبار التي ذكرناها على ظاهرها»[١].

وقد أجاب العلماء قديماً وحديثاً عن شبهة المرجئة في استدلالهم بهذا الحديث وأشباهه من الأحاديث، وهو ظاهر -بحمد الله- لا أطيل بذكره، فمن ذلك:

١- ما قيل للحسن رَحِمَهُ اللَّهُ: إن ناساً يقولون: من قال: "لا إله إلا الله" دخل الجنة، فقال: «من قال: "لا إله إلا الله"، فأدى حقَّها وفَرْضَها دخل الجنة»[٢].

٢- وقيل لوهب بن منبه رَحِمَهُ اللَّهُ: أليس "لا إله إلا الله" مفتاح الجنة؟ قال: «بلى، ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان

---

(١) التوحيد لابن خزيمة (٢/٨١٦)، وانظر أيضاً: (٢/٨٢٤-٨٣١).

(٢) أخرجه – بسنده-: الشجري في ترتيب الأمالي الخميسية (١/١٦) برقم (٢١).

فتح لك وإلا لم يفتح لك))[١].

قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله معلقاً على جواب وهب بن منبه السابق: ((مراده الرد على من ظن دخول الجنة بالتوحيد وحده بدون الأعمال))[٢]. انتهى

٣- وقال ابن خزيمة رحمه الله تعليقاً على أثر ابن مسعود رضي الله عنه: "من مات وهو لا يدعو لله نداً؛ دخل الجنة"[٣]-: ((معناها ليس كما يتوهمه المرجئة، وبيقين يعلم كل عالم من أهل الإسلام أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرد بهذه الأخبار أن من قال: لا إله إلا الله، أو زاد مع شهادة أن لا إله إلا الله شهادة أن محمداً رسول الله، ولم يؤمن بأحد من الأنبياء غيرِ محمد صلى الله عليه

---

(١) ذكره البخاري في "صحيحه" معلقاً بصيغة التمريض (٧١/٢) قبل حديث رقم: (١٢٣٧) (كتاب الجنائز، باب في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله).
وقد وصله المصنف في التاريخ الكبير(٩٥/١) برقم (٢٦١)، وأبو نعيم في الحلية (٦٦/٤) من طريق محمد بن سعيد بن رمانة عن أبيه عن وهب. وانظر: تغليق التعليق لابن حجر (٤٥٣/٢-٤٥٤)، وفتح الباري (١٣٠/٣).

(٢) الدرر السنية (١٢٤/١).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه"(٦ /٢٣) برقم: (٤٤٩٧) (كتاب تفسير القرآن، باب قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا) (بهذا اللفظ)، ومسلم في "صحيحه" (١ /٦٥) برقم: (٩٢) (كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات مشركا دخل النار).

وسلم ولا آمن بشيء من كتاب الله، ولا بجنة ولا نار، ولا بعث ولا حساب؛ أنه من أهل الجنة، لا يُعذَّب بالنار»(١).

٤- استنبط العلماء من مجموع الأحاديث في الباب وما اشتملت عليه من قيود: شروطَ "لا إله إلا الله" السبعة، ومنها: الانقياد لهذه الكلمة ولما دلت عليه.

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: «ولا بد من الانقياد بالعمل بها وما دلت عليه مطابقةً وتضمناً والتزاماً»(٢).

وقد تظافرت نصوص العلماء في بيان ذلك، والتأكيدِ على أنه لابد مع "لا إله إلا الله" مِن عمل الصالحات وتجنُّبِ السيئات، الذي هو تحقيقٌ لمعناها وعملٌ بمقتضاها، ودليلٌ على الصدق فيها.

وتقدم في المطلب الماضي بيان شروط "لا إله إلا الله" مفصلة بحمد الله.

وأما ما يتعلق بتناقض المفتون، وسلفه من غلاة المرجئة الذين قصروا الإيمان على ما في القلب فيقال لهم: الحديث الذي استدللتم به لا يدل لكم؛ فإنه اشتمل على أمرين: القول وصدق القلب، فلم جعلتم الإيمان

---

(١) التوحيد لابن خزيمة (٢/٨١٦)، وانظر: (٢/٨٢٤-٨٣١).

(٢) المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد (ص: ٢٢١).

يحصل بأحدهما –وهو عمل القلب– دون الآخر؟ أليس هذا منكم تحكماً بلا دليل؟ فلم لا يحصل الإيمان بقول اللسان فقط دون عمل القلب –كما تقوله الكرامية–؟ فإن قلتم: يحصل الإيمان بهما جميعاً بطل قولكم: إن الإيمان الحقيقي هو ما في القلب فقط.

ويقال لهم جميعاً: قد دلت النصوص الأخرى على لزوم العمل كلزوم القول والاعتقاد، فلم أخذتم ببعض النصوص؟ وتركتم البعض الآخر مع أن مصدرها واحد؟!

قال الإمام أبو ثور رَحِمَهُ اللهُ في الرد على هؤلاء: «فأما الطائفة التي زعمت أن العمل ليس من الإيمان، فيقال لهم: ما أراد الله عز وجل من العباد إذ قال لهم: أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة؟ الإقرار بذلك؟ أو الإقرار والعمل؟ فإن قالت: إن الله أراد الإقرار ولم يرد العمل، فقد كفرت عند أهل العلم؛ من قال: إن الله لم يرد من العباد أن يصلوا ولا يؤتوا الزكاة.

فإن قالت: أراد منهم الإقرار والعمل قيل: فإذا أراد منهم الأمرين جميعاً لم زعمتم أنه يكون مؤمنا بأحدهما دون الآخر وقد أرادهما جميعاً؟ أرأيتم لو أن رجلا قال: أعمل جميع ما أمر الله ولا أقر به أيكون مؤمناً؟ فإن قالوا: لا، قيل لهم: فإن قال: أقر بجميع ما أمر الله به، ولا أعمل منه شيئاً أيكون مؤمناً؟ فإن قالوا: نعم، قيل لهم: ما الفرق وقد زعمتم أن الله عز وجل أراد الأمرين جميعا، فإن جاز أن يكون بأحدهما مؤمنا إذا ترك الآخر جاز أن

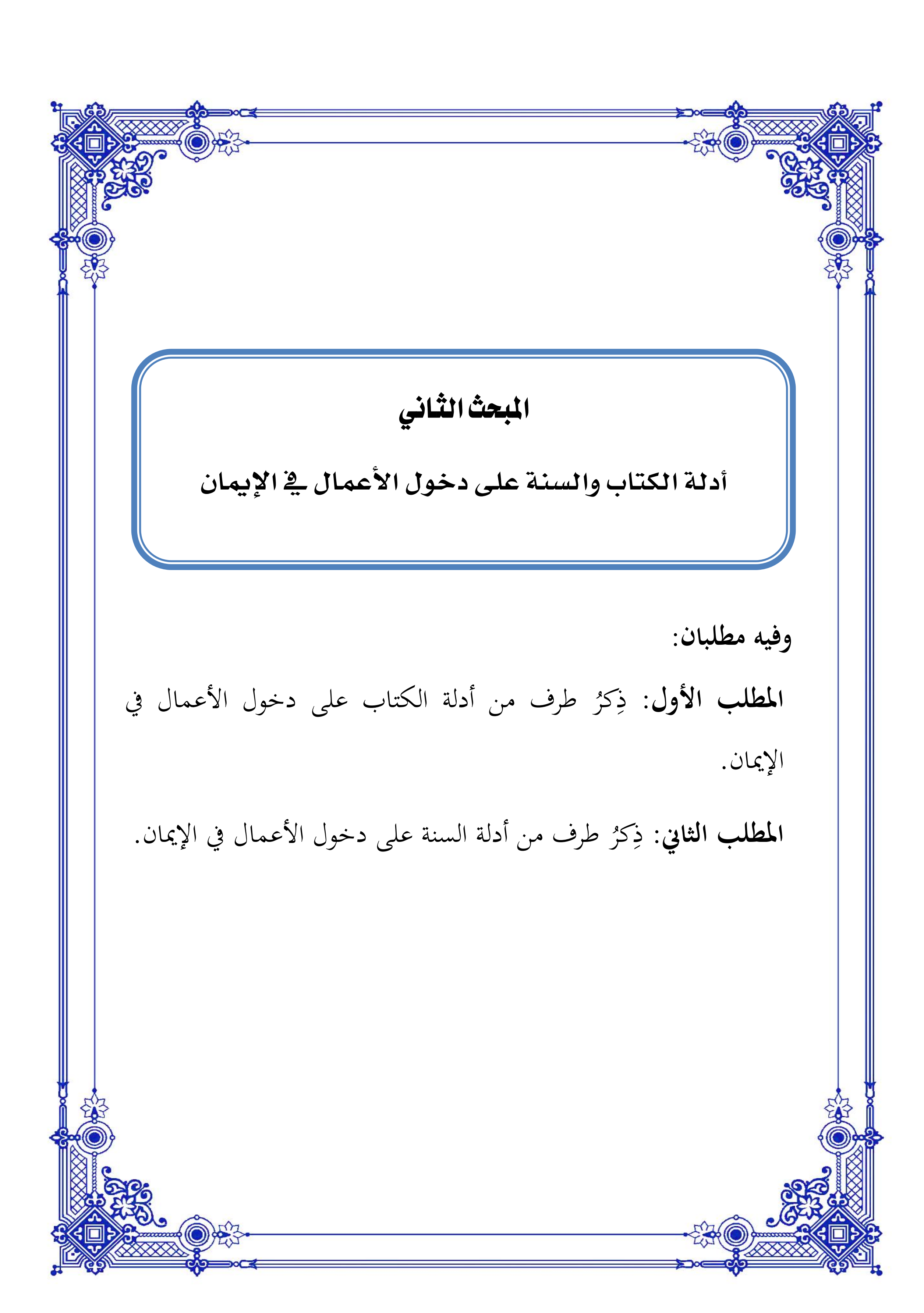
يكون بالآخر إذا عمل ولم يقر مؤمنا، لا فرق بين ذلك»[١].

وقد ذم الله جل وعلا في كتابه الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض فقال جل وعلا: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة: ٨٥].

وإذ قد انتهينا من تقرير أهمية القول في الإيمان وضرورة النطق بالشهادتين، وبيان شروط "لا إله إلا الله"، والرد على غلاة المرجئة في ذلك -ومنهم ذاك المفتون-، فننتقل بعد ذلك إلى تأصيل أهمية العمل، والتأكيد على لزومه، ودخوله في الإيمان.

وهو ما سنبينه في المبحث الآتي.

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٤/٩٣١).



المبحث الثاني

أدلة الكتاب والسنة على دخول الأعمال في الإيمان

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ذِكرُ طرف من أدلة الكتاب على دخول الأعمال في الإيمان.

المطلب الثاني: ذِكرُ طرف من أدلة السنة على دخول الأعمال في الإيمان.

المطلب الأول:
ذكر طرف من أدلة الكتاب على دخول الأعمال في الإيمان

قد دلَّ كتاب الله وسنة النبي ﷺ وإجماع السلف من الصحابة والتابعين فمن بعدهم على دخول الأعمال في حقيقة الإيمان، خلافاً للمرجئة بجميع أصنافهم.

فمن أدلة الكتاب:

قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡ﴾ [البقرة: ١٤٣].

قال السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: صلاتكم، فجعل الصلاة إيماناً، وهذا دليل على المرجئة؛ حيث لم يجعلوا الصلاة من الإيمان»[١].

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝﴾ [البينة: ٥].

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما يحتج عليهم -يعني أهل الإرجاء- بآيةٍ أَحَجُّ من قوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ

(١) تفسير السمعاني (١/١٥٠).

﴿وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥]»[١].

وقال عبدالله بن الإمام أحمد رحمهما الله -مبيناً وجه الدلالة من آية البينة-: «فقد سمى الله عزَّ وجل ديناً قيمة بالقول والعمل، فالقول: الإقرار بالتوحيد والشهادة للنبي ﷺ بالبلاغ، والعمل: أداء الفرائض واجتناب المحارم»[٢].

وقد جاء قرن العمل الصالح بالإيمان في القرآن الكريم في آيات كثيرة جداً.

قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويقول أهل السنة: إنَّ الله عز وجل قرن العمل بالإيمان، وإن فرائض الله عز وجل من الإيمان، قالوا: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [النساء: ٥٧]، فهذا موصول العمل بالإيمان، ويقول أهل الإرجاء: إنه مقطوع غير موصول»[٣].

وقد جمع الإمام الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ الآيات الواردة في ذلك، وأوصلها إلى أكثر من خمسين آية[٤]، وقال قبل أن يوردها: «واعلموا -رحمنا الله تعالى

---

(١) الإيمان لابن تيمية (ص: ١٦٦).

(٢) السنة لعبد الله بن أحمد (٣٧٥/١).

(٣) المصدر السابق (٣٧٦/١).

(٤) انظر: الشريعة (٣٦٦/١-٣٧٣).

وإياكم- أني قد تصفحت القرآن، فوجدت فيه ما ذكرته في شبيه من خمسين موضعاً من كتاب الله عز وجل؛ أنَّ الله تبارك وتعالى لم يُدخل المؤمنين الجنة بالإيمان وحده، بل أدخلهم الجنة برحمته إياهم، وبما وفقهم له من الإيمان به، والعمل الصالح، وهذا رد على من قال: الإيمانُ المعرفة، ورد على من قال: المعرفة والقول، وإن لم يعمل -نعوذ بالله من قائل هذا-)).

انتهى كلامه رحمه الله.

ثم ساق جملة من الآيات ، منها :

١- قول الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥].

٢- وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾﴾ [البقرة:٢٧٧].

٣- وقول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [آل عمران: ٥٧].

٤- وقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾ [النساء:٥٧].

٥- وقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء:١٢٢].

ثم علق عليها الإمام الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ مبيناً وجه دلالتها على دخول الأعمال في الإيمان فقال : «ميّزوا -رحمكم الله- قول مولاكم الكريم، هل ذَكر الإيمان في موضع واحد من القرآن إلا وقد قرن إليه العمل الصالح؟» انتهى كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقد جاء في القرآن أيضاً نفي الإيمان عمن أعرض عن الطاعة ولم يعمل، من ذلك:

قول الله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٤٧].

وجه الدلالة من الآية: ظاهر، حيث نفى الإيمان عمن ادعاه بلسانه، ثم أعرض عن الطاعة والعمل، فدل على أن الإيمان لا يكون إلا بالعمل، وأن العمل من الإيمان.

قال شيح الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فنفى الإيمان عمن تولى عن العمل، وإن كان قد أتى بالقول»[١].

والآيات الدالة على دخول الأعمال في الإيمان كثيرة جداً.

---

(١) مجموع الفتاوى ١٤٢/٧ .

المطلب الثاني:
ذكر طرف من أدلة السنة على دخول الأعمال في الإيمان

من أدلة السنة على ذلك: حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون -أو بضع وستون- شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»[١].

وهذا الحديث من أشهر أدلة السنة في الباب.

ففي هذا الحديث جعل النبي ﷺ إماطة الأذى أدنى شعب الإيمان، وهي عمل.

قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقول أهل البدع: الإيمان الإقرار بلا عمل والإيمان واحد، وإنما يتفاضل الناس بالأعمال، ولا يتفاضلون بالإيمان، ومن قال ذلك فقد خالف الأثر، ورَدَّ على رسول الله ﷺ قولَه؛ لأنَّ النبي ﷺ قال: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها "لا إله إلا الله"، وأدناها إماطة

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١/١١) برقم: (٩) (كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان) ومسلم في "صحيحه" (١/٤٦) برقم: (٣٥) (كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان) -واللفظ له-.

الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»»[١].

ومن الأدلة أيضاً: حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[٢].

ففي هذا الحديث جعل النبي ﷺ إنكار المنكر على ثلاث مراتب منقسمةٍ على اللسان واليد والقلب، وأخبر أن الإنكار بالقلب "أضعف الإيمان"؛ فدل ذلك على أن الإنكار باليد واللسان أفضل وأعلى وأكمل، وأنه من الإيمان.

ومن الأدلة أيضاً: حديث وفد عبد القيس، وفيه: «...فأمَرَهم بأربع، ونهاهم عن أربع، أمرهم: بالإيمان بالله وحده، قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن مُحَّدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس...»[٣].

---

(١) السنة لعبد الله بن أحمد (١/٣٧٥-٣٧٦).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (١/٥٠) برقم: (٤٩) (كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عَنْ المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص)، وفي أوله ذكر سبب إيراده.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١/٢٠) برقم: (٥٣) (كتاب الإيمان، باب أداء =

ففي هذا الحديث فسَّر النبيُّ ﷺ الإيمان لوفد عبد القيس بأعمال ظاهرة، منها بعض أركان الإسلام كإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، ومنها واجبات دون ذلك، كأداء الخمس.

والحديث أورده البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابِ الإيمان، وبوب عليه بنحو ذلك فقال: باب أداء الخمس من الإيمان[1].

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيناً وجه استدلال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالحديث على الباب المذكور: «أنهم سألوا عن الأعمال التي يدخلون بها الجنة، وأُجيبوا بأشياء منها أداء الخمس، والأعمال التي تدخل الجنة هي أعمال الإيمان؛ فيكون أداء الخمس من الإيمان بهذا التقرير»[2].

ومن أدلة السنَّة أيضاً: حديث ثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «سددوا وقاربوا، واعملوا، وخير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء

الخمس من الإيمان)، ومسلم في "صحيحه" (٣٥/١) برقم: (١٧) (كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه) من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا -مطولاً-.

(١) صحيح البخاري (٢٠/١) برقم: (٥٣) (كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٣٣/١).

إلا مؤمن»[١].

ونحوه من الأحاديث التي تصف الأعمال المأمور بها أو عامليها بالإيمان، وهي كثيرة جداً.

ومن أدلة السنة أيضاً: الأحاديث الدالة على كفر تارك الصلاة؛ وذلك أنه إذا كان تركها كفراً؛ فمفهومه بلا شك أن فعلها إيمان.

وسيأتي ذكرها في المبحث السادس-بإذن الله تعالى-.

وكذلك كل حديث فيه نفي الإيمان عن من عمل ذنباً، أو النهي عن أعمال موصوفة بالكفر؛ فإنَّ تَرْكها من الإيمان، وهي كثيرة جداً أيضاً.

والاجتناب والترك عمل على الصحيح؛ ويدل له قول الله تعالى: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩]، وقول النبي ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمِنَه الناس على دمائهم وأموالهم»[٢]، ومنه قول بعض الصحابة

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" (٥٢٧٨/١٠) برقم: (٢٢٨٦٩) (مسند الأنصار رضي الله عنهم، ومن حديث ثوبان رضي الله عنه). وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٣٢/١) برقم (١١٥).

(٢) أخرجه الترمذي في "جامعه" (٣٧٠/٤) برقم: (٢٦٢٧) والنسائي في "المجتبى" (٩٦٧/١) برقم: (١/٥٠١٠)، وقال الترمذي عقبه: "هذا حديث حسن صحيح". وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (٢٦٢٧). وشطره =

أثناء بناء المسجد النبوي في أول الهجرة "رجز":

لـــئن قعـــدنا والنـــبيُّ يَعمـــلُ لـــذاك منّـــا العمـــل المضَـــلَّلُ[(١)]

وبسط المسألة في غير هذا الموضع[(٢)].

وأجمع السلف من الصحابة والتابعين فمن بعدهم على دخول الأعمال في الإيمان، وأنَّ الإيمان قول وعمل.

وهو ما سنعرفه في المبحث الآتي.

الأول متفق عليه من حديث عبدالله بن عمرو وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما وغيرهما.

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/١٠٢)، ولم ينسبه لقائل بعينه.

(٢) انظر: مذكرة في أصول الفقه للشنقيطي (ص: ٤٦).

المبحث الثالث

إجماع السلف على أن الإيمان قولٌ وعملٌ، وأن الأعمال من الإيمان، وذِكرُ نماذج من أقوالهم، ورَدُّ زعم المفتون أن ذلك اجتهادٌ شخصيٌّ لبعض أهل الحديث والأثر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ذكر الأقوال التي فيها حكاية الإجماع على هذه المسألة.

المطلب الثاني: ذِكرُ نماذج من أقوال السلف في التلازم بين أجزاء الإيمان الثلاثة: القول والعمل والاعتقاد، ورد زعم المفتون أن ذلك اجتهاد شخصي لبعض أهل الحديث والأثر.

المطلب الأول
ذكر الأقوال التي فيها حكاية الإجماع على هذه المسألة

مما تفوّه به ذاك المفتون: زعمه بأنَّ ما نقل عن السلف في الإيمان من أنَّه قولٌ وعملٌ واعتقادٌ؛ هو اجتهاد من بعض أهل الحديث والأثر! يعني: أنه اجتهاد شخصي، وليس مستنداً على نص أو إجماع![١].

وهذه مغالطة قبيحة، وتلبيس شديد من هذا المفتون، يريد من ورائها توهينَ قول السلف، وتسويغَ مذهب غلاة المرجئة، وما يذهب إليه من أن الإيمان الحقيقي هو الإيمان القلبي.

وأقول -مستعيناً بالله-:

قد تواتر عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين فمن بعدهم القول بأن الإيمان قول وعمل، وأن الأعمال من الإيمان، وهو أمر مجمع عليه عندهم.

فقد حكى اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كون الصلاة من الإيمان -وكذلك سائر العمل- عن جمع من الصحابة، منهم:

---

(١) رابط الرد السريع QR:

عمر، وعلي، ومعاذ، وعبد الله بن مسعود، وابن عباس، وأبو الدرداء، وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم.

وحكاه أيضاً عن جماعة من التابعين كالحسن، وعمر بن عبد العزيز، وسعيد بن جبير، وزيد بن أسلم، ومجاهد، وعن هشام بن حسان، ووهب بن منبه، كلهم قالوا: الإيمان قول، وعمل[١].

وحكى الإمام عبدالله بن أحمد عن كثير من السلف أن الإيمان قول وعمل[٢].

وحكاه الإمام اللالكائي أيضاً عن جماعة من السلف ضمن سياقه لعقائدهم مفصلة، منهم: سفيان الثوري[٣]، وابن عيينة[٤]، وعلي ابن المديني[٥]، وأبو ثور[٦]، وغيرهم -رحمهم الله-.

وأولئك السلف هم أهل الإجماع، ولا سيما في باب العقائد.

وإليك جملة من أقوالهم -رحمهم الله- متضمنة حكاية الإجماع على

(١) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٩١٢/٤-٩١٣).
(٢) انظر: السنة لعبد الله بن أحمد (٣٠٧/١-٣٧٤).
(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١٧٠/١).
(٤) المصدر السابق (١٧٥/١).
(٥) المصدر السابق (١٨٥/١).
(٦) المصدر السابق (١٩٣/١).

حقيقة الإيمان وتعريفه، وتلازم أجزائه الثلاثة، وارتباط بعضها ببعض:

١- قال الإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: ((وكان الإجماع من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركناهم؛ أن الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر))[١].

٢- وقال المزني (ت ٢٦٤هـ) -تلميذ الشافعي- رحمه الله: ((والإيمان قولٌ وعملٌ مع اعتقاده بالجنان، قول باللسان وعمل بالجوارح والأركان، وهما سيان ونظامان وقرينان لا نفرق بينهما، لا إيمان إلا بعمل، ولا عمل إلا بإيمان...)).

ثم قال في آخر السياق: ((هذه مقالات وأفعال اجتمع عليها الماضون الأولون من أئمة الهدى، وبتوفيق الله اعتصم بها التابعون قدوةً ورضىً...))[٢].

٣- وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ) رحمهما الله: ((سألت أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين، وما أدركا عليه العلماءَ في جميع الأمصار، وما يعتقدان من ذلك؛ فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازاً وعراقاً وشاماً ويَمَناً، فكان من

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٩٥٧/٥)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٠٨/٧)، وعزي فيهما للأم للشافعي، ولم أجده في المطبوع منه.
(٢) شرح السنة للمزني (ص: ٧٨-٧٩).

مذهبهم: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص...))[1].

٤- وقال الآجري (ت٣٦٠هـ) رَحِمَهُ اللهُ: ((اعلموا -رحمنا الله وإياكم- أن الذي عليه علماء المسلمين أن الإيمان واجب على جميع الخلق، وهو تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، ثم اعلموا أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق، إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقاً، ولا تجزئ معرفةٌ بالقلب، ونطقٌ باللسان، حتى يكون عملٌ بالجوارح، فإذا كملت فيه هذه الثلاث الخصال كان مؤمناً؛ دل على ذلك القرآن، والسنة، وقول علماء المسلمين))[2].

قوله: "فإذا كملت فيه هذه الثلاث الخصال" أي: اجتمعت وتحققت، ولم يتخلف أحدها.

٥- وقال ابن بطة (ت٣٨٧هـ) -تلميذ الآجري- رَحِمَهُ اللهُ: ((اعلموا -رحمكم الله- أن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه فرض على القلب المعرفةَ به، والتصديقَ له ولرسله ولكتبه، وبكل ما جاءت به السنة، وعلى الألسن النطقَ بذلك والإقرارَ به قولاً، وعلى الأبدان والجوارح العملَ بكل ما أَمر به، وفَرَضَه من الأعمال، لا تجزئ واحدة من هذه إلا بصاحبتها، ولا يكون العبد مؤمناً إلا بأن يَجمعها كلَّها حتى يكون مؤمناً بقلبه،

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/١٩٨).

(٢) الشريعة (٢/٦١١).

مقراً بلسانه، عاملاً مجتهداً بجوارحه، ثم لا يكون أيضاً مع ذلك مؤمناً حتى يكون موافقاً للسنة في كل ما يقوله ويعمله، متبعاً للكتاب والعلم في جميع أقواله وأعماله، وبكل ما شرحته لكم؛ نزل به القرآن، ومضت به السنة، وأجمع عليه علماء الأمة»[١].

٦- وقال ابن عبد البر (ت٤٦٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمان... »[٢].

٧- وممن حكى الإجماع: حرب الكرماني في مسائله، وحكاه عنه ابن القيم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ونحن نحكي إجماعهم كما حكاه حرب صاحب الإمام أحمد عنهم بلفظه، قال في مسائله المشهورة: هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بها المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي ﷺ إلى يومنا هذا، وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها، فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها؛ فهو مخالفٌ مبتدعٌ خارجٌ عن الجماعة، زائلٌ عن منهج السنة وسبيل الحق.

قال: وهو مذهب أحمد، وإسحاق بن إبراهيم، وعبد الله بن مخلد، وعبد الله بن الزبير الحميدي، وسعيد بن منصور، وغيرهم ممن جالسْنا

(١) الإبانة الكبرى (٧٦١/٢).

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢٣٨/٩).

وأخذنا عنهم العلم، وكان مِن قولهم: أن الإيمان قول وعمل ونية وتمسك بالسنة، والإيمان يزيد وينقص...))[١] وذكر بقية المعتقد.

٨- ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) رحمه الله الإجماع الذي حكاه الشافعي وأقره في غير موضع. من ذلك قوله: ((ولهذا كان القول: إن الإيمان قول وعمل عند أهل السنة من شعائر السنة، وحكى غير واحد الإجماع على ذلك، وقد ذكرنا عن الشافعي رضي الله عنه ما ذكره من الإجماع على ذلك قوله في "الأم": وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون: إن الإيمان قولٌ وعملٌ ونيةٌ، لا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر))[٢].

٩- وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ (ت١٢٨٥هـ) رحمه الله: ((فلا ينفع القول والتصديق بدون العمل؛ فلا يَصدق الإيمان الشرعي على الإنسان إلا باجتماع الثلاثة: التصديقِ بالقلب وعمله، والقولِ باللسان، والعملِ بالأركان. وهذا قول أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً))[٣].

هذه نماذج من أقوال السلف والخلف، مما فيه حكاية الإجماع على دخول الأعمال في الإيمان، والتأكيد على التلازم بين أجزاء الإيمان الثلاثة.

---

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص: ٤٠٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/٣٠٨).

(٣) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٣٤٨).

المطلب الثاني
ذِكرُ نماذج من أقوال السلف في التلازم بين أجزاء الإيمان الثلاثة: القولِ والعملِ والاعتقادِ، ورَدُّ زعم المفتون أن ذلك اجتهادٌ شخصيٌّ لبعض أهل الحديث والأثر

قد تنوعت عبارات السلف الصالح -رحمهم الله- في التأكيد على تلازم القول والعمل والاعتقاد في الإيمان، مؤكدين ضمناً على أهمية العمل -وهو ما خالفت فيه عامة أصناف المرجئة-.

فتارة نجد في أقوال السلف والخلف التصريحَ بكفر تارك الفرائض والعمل، فمن ذلك:

١- سئل سفيان بن عيينة (ت١٩٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ عن الإرجاء، فقال: «يقولون: الإيمان قول، ونحن نقول الإيمان قول وعمل. **والمرجئة أوجبوا الجنة لمن شهد أن لا إله إلا الله مُصِرّاً بقلبه على ترك الفرائض**، وسموا ترك الفرائض ذنباً بمنزلة ركوب المحارم، وليس بسواء؛ لأنَّ ركوب المحارم من غير استحلالٍ معصيةٌ، **وترك الفرائض متعمداً**

من غير جهل ولا عذر هو كفر»[١].

ثم ضرب مثالين على ذلك بحال إبليس مع آدم -عليه السلام-، وعلماء اليهود مع النبي ﷺ حين علموا الحق وتركوه؛ إعراضاً واستكباراً.

٢- وقول عبدالله بن الزبير الحميدي (ت٢١٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأُخبرتُ أن قوماً يقولون: "**إن من أقر بالصلاة والزكاة والصوم والحج، ولم يَفعل من ذلك شيئاً حتى يموت، أو يصلي مسند ظهره مستدبر القبلة حتى يموت؛ فهو مؤمن، ما لم يكن جاحداً، إذا علم أن تركه ذلك في إيمانه** إذا كان يُقر الفروضَ واستقبالَ القبلة، فقلت: **هذا الكفرُ بالله الصراحُ، وخلافُ كتابِ الله وسنةِ رسوله ﷺ وفعلِ المسلمين**، قال الله جل وعز: ﴿حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥]. قال حنبل -أحد رواة الخبر-: قال أبو عبد الله -يعني أحمد بن حنبل- أو سمعته يقول: من قال هذا فقد كفر بالله، ورَدَّ على الله أمرَه، وعلى الرسول ما جاء به»[٢].

٣- وسئل سهل بن عبد الله التُّسْتَرِيُّ (ت ٢٨٣هـ) عن الإيمان ما هو؟ فقال: «هو قول ونية وعمل وسنة؛ **لأن الإيمان إذا كان قولاً بلا**

---

(١) السنة لعبد الله بن أحمد (٣٤٧/١).

(٢) السنة لأبي بكر بن الخلال (٥٨٦/٣).

عمل فهو كفر، وإذا كان قولاً وعملاً بلا نية فهو نفاق، وإذا كان قولاً وعملاً ونيةً بلا سنة فهو بدعة»[١].

٤- وقول ابن بطة العكبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فكل من ترك شيئاً من الفرائض التي فرضها الله عز وجل في كتابه أو أكَّدَها رسول الله ﷺ في سننه على سبيل الجحود لها والتكذيب بها، فهو كافر بيِّن الكفر، لا يشك في ذلك عاقل يؤمن بالله واليوم الآخر.

ومن أقرَّ بذلك وقاله بلسانه، ثم تركه تهاوناً ومجوناً، أو معتقداً لرأي المرجئة ومتبعاً لمذاهبهم، فهو تارك الإيمان، ليس في قلبه منه قليل ولا كثير، وهو في جملة المنافقين الذين نافقوا رسول الله ﷺ، فنزل القرآن بوصفهم وما أُعِدَّ لهم، وأنهم في الدرك الأسفل من النار، نستجير بالله من مذاهب المرجئة الضالة»[٢].

٥- وقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن الإيمان عند أهل السنة والجماعة قولٌ وعملٌ، كما دل عليه الكتاب والسنة وأجمع عليه السلف، وعلى ما هو مقرر في موضعه. فالقول تصديق الرسول، والعمل تصديق القول، فإذا خلا العبد عن العمل بالكلية لم يكن مؤمناً.

---

(١) الإبانة الكبرى (٨١٤/٢)، وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية(١٧١/٧).

(٢) الإبانة الكبرى (٧٦٤/٢).

والقول الذي يصير به مؤمناً قولٌ مخصوصٌ، وهو الشهادتان.

فكذلك العمل هو الصلاة... وأيضاً؛ فإن حقيقة الدين هو الطاعة والانقياد، وذلك إنما يتم بالفعل لا بالقول فقط، فمن لم يفعل لله شيئاً؛ فما دان لله ديناً، ومن لا دين له فهو كافر»[١].

٦- وقوله أيضاً رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد تبين أن الدين لا بد فيه من قول وعمل، **وأنه يمتنع أن يكون الرجل مؤمناً بالله ورسوله بقلبه أو بقلبه ولسانه ولم يؤَدِّ واجباً ظاهراً، ولا صلاةً ولا زكاةً ولا صياماً ولا غير ذلك من الواجبات**... لم يخرج بذلك من الكفر؛ فإن المشركين وأهل الكتاب يرون وجوب هذه الأمور.

فلا يكون الرجل مؤمناً بالله ورسوله مع عدم شيء من الواجبات التي يختص بإيجابها محمد ﷺ»[٢].

٧- وقوله أيضاً رحمه الله -في تقرير مسألة تارك المباني الأربعة-: «وهذه المسألة لها طرفان: أحدهما في إثبات الكفر الظاهر، والثاني في إثبات الكفر الباطن.

فأما "الطرف الثاني" فهو مبني على مسألة كون الإيمان قولاً وعملاً -كما تقدم-.

---

(١) شرح العمدة - كتاب الصلاة (ص: ٨٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/٦٢١).

ومن الممتنع أن يكون الرجل مؤمناً إيماناً ثابتاً في قلبه بأن الله فرض عليه الصلاة والزكاة والصيام والحج ويعيش دهره لا يسجد لله سجدة، ولا يصوم من رمضان، ولا يؤدي لله زكاة، ولا يحج إلى بيته، فهذا ممتنع.

ولا يصدر هذا إلا مع نفاقٍ في القلب وزندقةٍ، لا مع إيمان **صحيح**؛ ولهذا إنما يصف سبحانه بالامتناع من السجود الكفار كقوله: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [القلم: ٤٢-٤٣])[١].

وتارة نجد في أقوال السلف التصريح بنفي صحة الإيمان إذا لم يكن معه عمل، فمن ذلك:

قول الإمام الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ((لا يصح الدين إلا بالتصديق بالقلب والإقرار باللسان، والعمل بالجوارح مثل الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وما أشبه ذلك))[٢].

وتارة نجد في أقوالهم النفي المطلق للإيمان أو الإسلام إذا لم يجتمع فيه قول وعمل، فمن ذلك:

١- قول الحسن البصري (ت١١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ((الإيمان قول، ولا قول إلا

(١) المصدر السابق (٦١١/٧).
(٢) الشريعة (٥٥٦/٢).

بعمل، ولا قول وعمل إلا بنية، ولا قول وعمل ونية إلا بسنة»[١].

٢- وروي نحوه عن سفيان بن عيينة[٢]، وعن الأوزاعي، ومالك بن أنس، وسعيد بن عبد العزيز[٣]، وعن أحمد بن حنبل[٤]. وأكّد عليه الآجري[٥]، وابن بطة[٦].

٣- ونحوه قول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وإنما قال الأئمة بكفر هذا؛ لأن هذا فرض ما لا يقع، **فيمتنع أن يكون الرجل لا يفعل شيئاً مما أمر به من الصلاة** والزكاة والصيام والحج، ويفعل ما يقدر عليه من المحرمات، مثل الصلاة بلا وضوء وإلى غير القبلة، ونكاح الأمهات، وهو مع هذا مؤمن في الباطن، **بل لا يفعل ذلك إلا لعدم الإيمان الذي في قلبه**»[٧].

٤- وقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تقريره نفي الإيمان عن المصر على ترك الصلاة

---

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/٨٠٣).

(٢) انظر: الشريعة للآجري (٢/٦٠٤).

(٣) صريح السنة للطبري (ص: ٢٥).

(٤) السنة لأبي بكر بن الخلال (٣/٥٦٦).

(٥) انظر: الشريعة (٢/٦١١، ٦١٤).

(٦) انظر: الإبانة الكبرى (٢/٧٦٠).

(٧) مجموع الفتاوى (٧/٢١٨).

-ومن باب الأولى المصر على ترك الصلاة وسائر الأعمال-: «على أنَّا نقول لا يصرُّ على ترك الصلاة إصراراً مستمراً مَن يصدق بأن الله أمر بها أصلاً؛ فإنه يستحيل في العادة والطبيعة أن يكون الرجل مصدقاً تصديقاً جازماً أن الله فرض عليه كل يوم وليلة خمسَ صلوات، وأنه يعاقبه على تركها أشد العقاب؛ وهو مع ذلك مصر على تركها، هذا من المستحيل قطعاً؛ فلا يحافظ على تركها مصدِّقٌ بفرضها أبداً؛ فإن الإيمان يأمر صاحبه بها، فحيث لم يكن في قلبه ما يأمر بها؛ فليس في قلبه شيء من الإيمان.

ولا تُصْغِ إلى كلام من ليس له خبرة ولا علم بأحكام القلوب وأعمالها، وتأمل في الطبيعة بأن يقوم بقلب العبد إيمانٌ بالوعد والوعيد والجنة والنار، وأن الله فرض عليه الصلاة، وأن الله يعاقبه معاقبة على تركها، وهو محافظ على الترك في صحته وعافيته وعدم الموانع المانعة له من الفعل.

وهذا القدر هو الذي خفي على من جعل الإيمان مجرد التصديق وإن لم يقارنه فعلُ واجبٍ ولا تركُ محرَّمٍ.

وهذا من أمحل المحال أن يقوم بقلب العبد إيمانٌ جازمٌ لا يتقاضاه فعلُ طاعةٍ ولا تركُ معصيةٍ»[(١)].

(١) الصلاة وأحكام تاركها (ص: ٤٩-٥٠).

وتارة نجد في أقوال السلف التصريح بعدم صلاحية القول إلا بالعمل، فمن ذلك:

١- قول الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يستوي قولٌ إلا بعمل، ولا يَصلح قولٌ وعملٌ إلا بنية، ولا يَصلح قولٌ وعملٌ ونيةٌ إلا بالسنة»[1].

٢- وروي نحوه عن مُحَّد بن مسلم الطائفي والفضيل بن عياض وسفيان[2]، وعن مُحَّد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان[3]، وعن عبد الله بن عبيد بن عمير[4] -رحمهم الله-.

وتارة نجد في أقوالهم التصريح بعدم إجزاء الإيمان إلا بالعمل، فمن ذلك:

١- ما تقدم من قول الشافعي في الإيمان: «...لا يجزئ واحد من هذه الثلاثة إلا بالآخر».

٢- وأكدَّ على هذا الآجري[5] وابن بطة العكبري[6] -رحمهم الله جميعاَ-.

---

(١) أصول السنة لابن أبي زمنين (ص: ٢٠٩).

(٢) انظر: السنة لعبد الله بن أحمد (١/٣٣٦- ٣٣٧).

(٣) انظر: المصدر السابق (١/٣٤٠).

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٤/٩٢٨).

(٥) انظر: الشريعة (٢/٦٨٧).

(٦) انظر: الإبانة الكبرى (٢/٧٦١).

وتارة نجد من أقوالهم التصريح بنفي استقامة الإيمان إلا بالعمل، فمن ذلك:

١- قول الإمام الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: ((لا يستقيم الإيمان إلا بالقول، ولا يستقيم الإيمان والقول إلا بالعمل، ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بنيةٍ موافقةٍ للسنة...))(١).

وروي نحوه عن داود بن أبي هند(٢)، وسفيان الثوري(٣).

وتارة نجد في أقوالهم التصريح بعدم قبول الإيمان إلا بالعمل، فمن ذلك:

١- قول الحسن وقتادة -رحمهما الله-: ((لا يقبل الله قولاً إلا بعمل، من قال وأحسن العمل؛ قَبِل الله منه))(٤).

٢- وروي نحوه عن الأوزاعي(٥).

---

(١) الإبانة الكبرى (٢/٨٠٧).

(٢) انظر: أصول السنة لابن أبي زمنين (ص: ٢٠٩).

(٣) انظر: الإبانة الكبرى لابن بطة (١/٣٣٣).

(٤) تفسير الطبري (٢٠/٤٤٥).

(٥) انظر: الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/٨٠٧)، وشرح أصول الاعتقاد للالكائي (٥/٩٥٦).

وتارة نجد في أقوالهم التصريح بعدم نفع القول إلا بالعمل ، فمن ذلك:

١- قول الربيع بن أنس: ((وكان الحسن يقول: الإيمان كلامٌ، وحقيقته العمل، فإن لم يحقق القول بالعمل لم ينفعه القول))(١).

٢- وروي نحو ذلك عن سفيان الثوري(٢)، وأكّد على مثله ابن بطة العكبري(٣).

وتارة نجد في أقوالهم نسبة المخالف في هذه المسألة إلى المرجئة، بل ربما عدوه من غلاة المرجئة، فمن أقوالهم في ذلك:

١- ما تقدم من قول سفيان بن عيينة (ت ١٩٨هـ)- رحمه الله-: ((...والمرجئة أوجبوا الجنة لمن شهد أن لا إله إلا الله مصرا بقلبه على ترك الفرائض...)).

٢- وقال إسحاق بن راهويه (ت ٢٣٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: ((ثم غلت المرجئة حتى صار من قولهم: إن قومًا يقولون: من ترك المكتوبات، وصوم رمضان، والزكاة، والحج، وعامة الفرائض من غير جحود بها؛ إنا لا نكفره، يُرجأ

---

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/٧٩٢).

(٢) انظر: الطيوريات (٢/٥٤٠).

(٣) انظر: الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/٧٧٩).

أمره إلى الله بعد إذ هو مقر. فهؤلاء المرجئة الذين لا شك فيهم»[(١)].

٣- وقال حمدان بن علي الوراق رَحِمَهُ اللَّهُ: «سألت أحمد -وذُكر عنده المرجئة- فقلت له: إنهم يقولون: إذا عرف الرجل ربه بقلبه فهو مؤمن، فقال: "المرجئة لا تقول هذا، **بل الجهمية تقول بهذا**. المرجئة تقول: حتى يتكلم بلسانه، و[إن لم] تعمل جوارحه، **والجهمية تقول: إذا عَرَف ربَّه بقلبه، وإن لم تعمل جوارحه، وهذا كفرٌ**؛ إبليس قد عرف ربه، فقال: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِى﴾[الحجر: ٣٩]". قلت: فالمرجئة لِمَ كانوا يجتهدون وهذا قولهم؟ قال: البلاء»[(٢)].

فعد الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ الاقتصار في الإيمان على معرفة القلب كفراً، وجعل القائل به من الجهمية.

٤- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن قال بحصول الإيمان الواجب بدون فعل شيء من الواجبات -سواء جَعَل فِعلَ تلك الواجبات لازماً له أو جزءاً منه؛ فهذا نزاع لفظي- كان مخطئاً خطأً

(١) مسائل حرب الكرماني من كتاب النكاح إلى نهاية الكتاب (٣/١٠١٥)، وانظر: فتح الباري لابن رجب (١/٢٣).

(٢) السنة للخلال (٣/٥٧٠)، وانظر: المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة للدكتور عبدالإله الأحمدي (١/٧٣). وما بين معكوفين زيادة يقتضيها السياق، نبه عليها المؤلف.

بيّناً، وهذه بدعة الإرجاء التي أعظمَ السلفُ والأئمةُ الكلامَ في أهلها، وقالوا فيها من المقالات الغليظة ما هو معروف»[١]. وسيأتي قريباً طرفٌ من تلك المقالات عن السلف في ذم الإرجاء والمرجئة.

وبعد: فهذه جملة من أقوال السلف، وكلها تؤكد التلازم بين أجزاء الإيمان الثلاثة: القولِ والعملِ والاعتقادِ.

وفيها أبلغُ ردٍّ على هذا المفتون الذي زعم أن تلك الأقوال اجتهاداتٌ لبعض أهل الحديث والأثر، وليست مبنيةً على نص أو إجماع.

وكذب في ذلك؛ فقد تقدم في المبحث الثاني من نصوص الكتاب والسنة ما يدل على أن الإيمان قول وعمل، وذكرتُ في هذا المبحث –في المطلب الأول منه– إجماعَ سلف الأمة عبر القرون على ذلك، كما نقلتُ في المطلب الثاني طائفةً من أقوال العلماء في مختلف الأمصار والبلدان؛ تأكيداً على ذلك؛ ليتبين لنا صحة قول السلف، وبطلان قول الخلف، وينكشف كذب هذا المفتري وأمثاله عليهم.

كما اشتملت تلك الجملة من أقوال السلف على أقوال كثيرة فيها التصريح بكفر تارك العمل، ونفي الإيمان عنه، واعتبار المخالف في هذه المسألة من المرجئة أو من غلاتهم الجهمية.

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/٦٢١).

ومنها يتبين ضلال ذاك المفتون -تبعاً لضلال سلفه الفاسد من غلاة المرجئة- في زعمهم أن الإيمان الحقيقي هو الإيمان القلبي فقط، وما يترتب عليه من لوازم فاسدة.

وهو ما سنعرفه مفصلاً في المبحث الآتي.



حاصلُ أقوال المرجئة في الإيمان، وبيانُ انحرافهم وغلطهم، والردُّ على المفتون في انتسابه إلى غلاة المرجئة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حاصل أقوال المرجئة في الإيمان.

المطلب الثاني: بيانُ انحرافِ المرجئة وغلطِهم في الإيمان، وما ترتب عليه من الفساد، والرد على المفتون في انتسابه إلى غلاة المرجئة.

المطلب الأول:
حاصلُ أقوال المرجئة في الإيمان

مما تفوه به ذاك المفتون قوله: "أنا من غلاة المرجئة". ثم زعم أن الإيمان الحقيقي هو الإيمان القلبي، وأشار إلى أن غلاة المرجئة يقولون بذلك[١].

والتحقيق أن قول غلاة المرجئة في الإيمان: أنه المعرفة بالقلب فقط، وذلك أخص من الإيمان القلبي الذي يقول به المردود عليه.

على أنه عاد في الأخير، فزعم أنه يعبد الله بالحب فقط، مشيراً إلى أن ذلك هو الإيمان عنده!.

ولتجلية تناقضاته هذه أقول -مستعيناً بالله-:

المرجئة : جمع مرجئ، مأخوذ من الإرجاء بمعنى التأخير[٢]. ومنه قول الله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ١١١﴾ [الأعراف: ١١١]. أي: أخّره وأخاه[٣].

(١) رابط الرد السريع QR:

(٢) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١١/١٢٥).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٣/٢١)، وتفسير السمعاني (٢/٢٠٣).

وسميت المرجئة بذلك؛ لتأخيرهم العمل عن الإيمان[١].

والمرجئة المخالفون للسلف في الإيمان أصولهم ثلاثة أصناف، بيَّنَهم شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: «والمرجئة ثلاثة أصناف:

الذين يقولون: الإيمان مجرد ما في القلب. ثم من هؤلاء من يُدخل فيه أعمال القلوب، وهم أكثر فرق المرجئة... ومنهم من لا يُدخلها في الإيمان، كجهم ومن اتبعه كالصالحي، وهذا الذي نصره هو وأكثر أصحابه.

والقول الثاني: من يقول: هو مجرد قول اللسان. وهذا لا يُعرف لأحد قبل الكرامية.

والثالث: تصديق القلب وقول اللسان. وهذا هو المشهور عن أهل الفقه والعبادة منهم»[٢].

فالصنف الأول هم غلاة المرجئة من الجهمية والصالحية ومن وافقهم، ويتفرع عن قولهم قول الأشاعرة والماتريدية أن الإيمان هو التصديق

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (ص:٢٠٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/١٩٥).

بالقلب[١].

والصنف الثاني هم الكرامية، وذكر المؤرخون أنهم انقرضوا[٢].

والصنف الثالث: هم الملقبون بمرجئة الفقهاء، وهم أخف فرق المرجئة، ومع ذلك اشتد نكير السلف عليهم؛ لخطر بدعتهم على أهل الإسلام كما سيأتي.

(١) انظر: لوامع الأنوار البهية للسفاريني (١/٤٢٠).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١١/٥٢٤).

المطلب الثاني
بيان انحراف المرجئة وغلطهم في الإيمان، وما ترتب عليه من الفساد، والرد على المفتون في انتسابه إلى غلاة المرجئة

بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ انحرافَ المرجئة بأصنافهم وغلطَهم في الإيمان فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهؤلاء -يعني المرجئة- غلطوا من وجوه:

أحدها: ظنهم أن الإيمان الذي فرضه الله على العباد متماثل في حق العباد، وأن الإيمان الذي يجب على شخص يجب مثله على كل شخص، وليس الأمر كذلك...

الوجه الثاني من غلط المرجئة: **ظنهم أن ما في القلب من الإيمان ليس إلا التصديق فقط دون أعمال القلوب...**

الثالث: **ظنهم أن الإيمان الذي في القلب يكون تاماً بدون شيء من الأعمال...**»[1].

وقد أطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ النفس في بيان هذه الأوجه، وفصَّل الرد عليهم بما لا مزيد عليه.

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/١٩٥-٢٠٤).

وقد ترتب على مذهب المرجئة عدة مفاسد، منها:

١- أنه صار ذريعة إلى كثير من بدع العقائد بعد أن كان الإرجاء في أول أمره بدعةً لفظيةً.

٢- أنه صار حجة لأهل الفسق والمجون لانتهاك حرمات الله، والاستهانة بحدوده، وإضاعة فرائضه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: ((ولهذا لم يكفر أحد من السلف أحداً من مرجئة الفقهاء، بل جعلوا هذا من بدع الأقوال والأفعال؛ لا من بدع العقائد؛ فإن كثيراً من النزاع فيها لفظي، لكن اللفظ المطابق للكتاب والسنة هو الصواب، فليس لأحد أن يقول بخلاف قول الله ورسوله، لا سيما وقد صار ذلك ذريعة إلى بدع أهل الكلام من أهل الإرجاء وغيرهم، وإلى ظهور الفسق، فصار ذلك الخطأ اليسير في اللفظ سبباً لخطأ عظيم في العقائد والأعمال، فلهذا عظم القول في ذم الإرجاء..))(١).

وقال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ : ((وإنما الصعب من قول غلاة المرجئة إن الإيمان هو الاعتقاد بالأفئدة، وإن تارك الصلاة، والزكاة، وشارب الخمر، وقاتل النفس، والزاني، وجميع هؤلاء يكونون مؤمنين كاملي الإيمان، ولا يدخلون

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/٣٩٤).

النار، ولا يعذبون أبداً، فردوا أحاديث الشفاعة المتواترة، وجسّروا كل فاسق، وقاطع طريق على الموبقات، نعوذ الله من الخذلان»[١].

والواقع يشهد لذلك قديماً وحديثاً؛ فهذا المفتون جمع بين المفسدتين المذكورتين جميعهما:

تبني مذهب غلاة المرجئة، وتركِ الصلاة وإضاعةِ الفرائض والواجبات، بل التخلي عن الدين كله، والتردي إلى الفلسفة والعلمانية[٢]، وربما الإلحاد الذي يدعو إلى احترامه، ويمجد أهلَه[٣].

وكفى بذلك فساداً وضلالاً وإثماً مبيناً.

والأعجب من ذلك: زعمه أنه يعبد الله بالحب فقط! مع وقوعه في تلك المفاسد، وارتكابه كل هذه الجرائم، من ترك الصلاة وغيرها!.

وهذا إفك مبين، وكذب على الله ورسوله ﷺ وعباده المؤمنين:

(١) سير أعلام النبلاء (٩/٤٣٦).
(٢) انظر : حواراً لمنصور النقيدان بعنوان "لست فقاعة"، موقع إيلاف:
https://elaph.com/Web/Interview/2006/3/136004.html
ومما قاله فيه: (**نعم أنا علماني**، وأومن إيمان لا يخالطه شك أنها الحل الوحيد).
(٣) سيأتي بيان ذلك في المبحث السابع -إن شاء الله-.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾[آل عمران: ٣١]. ذكر المفسرون في سبب نزول الآية أقوالاً متقاربة، من أشهرها ما ذكره الإمام ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسنده عن الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: ((إن أقوامًا كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعمون أنهم يحبون الله، فأراد الله أن يجعل لقولهم تصديقًا من عمل، فقال: "إن كنتم تحبون الله" الآية، كان اتباعُ مُحَمَّد ﷺ تصديقًا لقولهم))[١].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ((هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية؛ فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرعَ المحمديَّ والدينَ النبويَّ في جميع أقواله وأحواله))[٢].

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ((وهذه الآية فيها وجوب محبة الله، وعلاماتها، ونتيجتها، وثمراتها، فقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ [آل عمران: ٣١]، أي: ادعيتم هذه المرتبة العالية، والرتبة التي ليس فوقها رتبة، فلا يكفي فيها مجرد الدعوى، بل لا بد من الصدق فيها، وعلامةُ الصدق اتباعُ رسوله صلى الله عليه وسلم في جميع أحواله، في أقواله وأفعاله، في أصول الدين وفروعه، في

(١) تفسير الطبري (٦/٣٢٣).
(٢) تفسير ابن كثير (٢/٣٢).

الظاهر والباطن، فمَن اتبع الرسولَ دل على صدق دعواه محبةَ الله تعالى، وأحبَّه الله، وغفر له ذنبه، ورحمه، وسدده في جميع حركاته وسكناته، ومن لم يتبع الرسول فليس مُحبّاً لله تعالى؛ لأن محبته لله توجب له اتباع رسوله، فما لم يوجد ذلك دل على عدمها، وأنه كاذب إن ادعاها، مع أنها على تقدير وجودها غير نافعة بدون شرطها، وبهذه الآية يوزن جميع الخلق، فعلى حسب حظهم من اتباع الرسول يكون إيمانهم وحبهم لله، وما نقص من ذلك نقص))[١].

وما أجمل ما قاله الشاعر الحكيم[٢]:

تَعصي الإلـه وأنـت تُظهـر حُبَّـهُ　　　هـذا محـالٌ في القيـاس بـديعُ
لـو كـان حُبُّـكَ صـادقاً لأطعتَـه　　　إنَّ المحِـبَّ لمـن يُحِـبُّ مُطيـعُ

ومن أعظم الأعمال التي تدل على محبة العبد لربه محافظته على الصلاة التي هي عمود الدين.

بينما هذا المفتون من أعظم الناس إضاعة لها كما صرح بذلك، وجاهر به على الملأ، والله المستعان.

---

(١) تفسير السعدي (ص: ١٢٨).

(٢) البيتان منسوبان للشاعر ذي الرمة، وهما في ديوانه بشرح الباهلي (١٨٨٧/٣).

وسيأتي الرد عليه في موضوع ترك الصلاة وإضاعتها في المبحث السادس، وفي موضوع الإلحاد في المبحث السابع -بإذن الله تعالى-.

ومما يحسن الاستطراد بذكره أنَّ أصل نشأة بدعة الإرجاء كان ردة فعل لبدعة الخوارج، كما قال قتادة السدوسي رَحِمَهُ اللهُ : «إنما حدث هذا الإرجاء بعد هزيمة ابن الأشعث»[١].

ثم صار من المرجئة من يتبنون عقيدة الخوارج.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٥/٢٧٥). وابن الأشعث كان والياً للحجاج على الجند لحرب رتبيل التركي؛ فخرج عليه وحارب الحجاج من عام٨١هـ إلى ٨٣هـ، وانتهت الحرب بينهما بهزيمة ابن الأشعث ومن معه من القراء، فهرب ابن الأشعث إلى رتبيل! واحتمى به، ولم يزل الحجاج يراسل رتبيل في شأن إعادة ابن الأشعث ومن معه من القراء، ويغريه بالمال وغيره حتى اقتنع؛ فقيّدهم بالأغلال والسلاسل وأرسلهم إلى الحجاج، فقيل: إن ابن الأشعث كان مقيداً مع آخر فألقى بنفسه من مهلكة، فهلك هو ومن قيّد معه قبل وصولهم للحجاج. وقد قتل الحجاج جماعة كبيرة من القراء الذين اشتركوا في هذه الفتنة. وقيل: إنه لم يكن يعفو إلا عمن شهد على نفسه بالكفر! والله المستعان. انظر: تاريخ الطبري (٦/٣٢٤)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٤/١٨٣).

وهذه عاقبة الخروج ونقض العهود، وفي ذلك أعظم عبرة وزاجر للمتساهلين في الدماء. والله المستعان

وهذا المفتون بعكس ذلك: انتقل من مذهب الخوارج إلى مذهب الجهمية وغلاة المرجئة، بل إلى أبعد من ذلك.

ولا غرابة في ذلك؛ فكل من حاد عن الصراط المستقيم اختلف وتناقض واضطرب، ولم يثبت على حال، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى: أن أهل البدع يتلاقون، وبينهم صلة رحم موصولة، ويحدث بينهم من التداخل العقدي والفكري ما هو ظاهر لمن تأمله؛ فلا تستغرب أن ترى مرجئاً خارجياً، ولا أن ترى خارجياً مرجئاً؛ وقد بين ذلك سلفنا الصالح قديماً:

فعن سلاّم بن أبي مطيع رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كان أيوب يسمي أصحاب البدع كلهم خوارج، ويقول: ((إن الخوارج اختلفوا في الاسم، **واجتمعوا على السيف**))[١].

وعن أبي قلابة رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: ((**ما ابتدع قوم بدعة إلا استحلوا السيف**))[٢].

وعنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضاً قال: ((إنّ أهل الأهواء أهل الضلالة، ولا أرى مصيرهم إلا إلى النار، فجرِّبهم؛ فإنه **ليس أحد ينتحل قولاً، أو قال رأياً، فيتناهى به الأمر دون السيف**))[٣].

---

(١) القدر للفريابي (ص: ٢١٥).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١٥٢/١).

(٣) القدر للفريابي (ص: ٢١٣).

وعن أبي إسحاق الفزاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: سمعت سفيان، والأوزاعي، يقولان: ((إنَّ **قول المرجئة يخرج إلى السيف**))[١].

وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ((اتقوا هذه الأهواء. قيل له: بين لنا – رحمك الله–، فقال سفيان: أما المرجئة فيقولون: الإيمان كلام بلا عمل، من قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن مُحَمَّداً عبده ورسوله فهو مؤمن مستكمل الإيمان، إيمانه على إيمان جبريل والملائكة، وإنْ قَتَلَ كذا وكذا مؤمناً، وإنْ ترك الغُسل من الجنابة، **وإنْ تَرَكَ الصلاة، وهم يرون السيف على أهل القبلة**))[٢].

وقال رجل لعبد الله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ترى رأي الإرجاء؟ فقال: ((**كيف أكون مرجئاً، فأنا لا أرى رأي السيف؟** وكيف أكون مرجئاً، وأنا أقول: الإيمان قول وعمل؟))[٣].

فهذه الآثار تُبين لنا بجلاءٍ الوجهَ الجامعَ لأهل البدع عموماً، وحقيقةَ مذهب المرجئة خصوصاً، وأن مآلَه إلى مذهب الخوارج.

(١) السنة لعبد الله بن أحمد (١/٢١٧).
(٢) المصدر السابق (٥/١٠٧١).
(٣) شرح مذاهب أهل السنة لابن شاهين (ص: ٢٨).

ولعل العلة في ذلك تكفيرهم لمخالفهم، فيَستحِلُّون دمه، وهي علة مشتركة بين غالب أهل البدع، كما يشير إليه أثر أبي قلابة المتقدم.

وقد جاء في الحديث عن جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له في حجة الوداع: «استنصت الناس. فقال: لا ترجعوا بعدي كفاراً، يَضرب بعضُكم رقابَ بعضٍ»[١].

قيل في معناه عدة أقوال، منها: لا يُكَفِّرْ بعضُكم بعضاً، فتستحلوا أن تتقاتلوا ويضربَ بعضُكم رقابَ بعض[٢].

وكثير من المرجئة -بمختلف أصنافهم- كانوا يرون السيف والخروج على أئمة الجور، بل غالب الفرق الضالة ترى ذلك.

قال أبو الحسن الأشعري: «واختلف الناس في السيف على أربعة أقاويل:

فقالت المعتزلة والزيدية والخوارج **وكثير من المرجئة**: ذلك أوجب إذا

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١/٣٥) برقم: (١٢١) (كتاب العلم، باب الإنصات للعلماء)، ومسلم في "صحيحه" (١/٥٨) برقم: (٦٥) (كتاب الإيمان، باب لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض).

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم (٢/٥٥)، وفتح الباري لابن حجر (١٢/١٩٤)، ومطالع الأنوار على صحاح الآثار لابن قرقول (٣/٣٧٧) والتوضيح لابن الملقن (١٢/١٥٢).

أمكننا أن نزيل بالسيف أهلَ البغي ونقيمَ الحق... »[١]. ثم ذكر بقية الأقاويل.

والجهمية -وهم غلاة المرجئة- يرون ذلك.

قال البغدادي في الجهم بن صفوان: «فاتفق أصناف الأمة على تكفيره، وكان جهم مع ضلالاته التي ذكرناها **يحمل السلاح ويقاتل السلطان**»[٢]، ثم ذكر مقتله بعد خروجه على السلطان!.

وأعظم خروج وقع فيه هذا المفتون وأمثاله: هو خروجُهم على الدين وصراط الله المستقيم وسنة سيد المرسلين ﷺ، وسلوكُهم طريقَ المغضوب عليهم والضالين والزنادقة الملحدين.

وعلى ذلك: فما يدعيه هذا المفتون ومن معه في "مسبارهم" من محاربةٍ للتطرف والإرهاب، وما يوحون به للناس أن الحل الأمثل لذلك هو ما هم عليه من الإرجاء الغالي وثمراتِه الخبيثة؛ إنما هو محضُ هراءٍ وهذيانٍ لا حقيقة له، وإن زخرفوه بالقول والفعل والمنتجة والإخراج والتزويق.

يوضح ذلك أمور:

١- أن عقيدته الإرجائية الغالية في الإيمان لا يتم بها عصمة النفس والمال، ولا تؤهل معتنقَها إلى شيء من ذلك؛ لاقتصارها على ما يزعمه من الإيمان القلبي -الذي لا يمكن أن يَطَّلع عليه أحد إلا الله ثم صاحبه-

(١) مقالات الإسلاميين (٢/٣٣٦).

(٢) الفرق بين الفرق (ص: ٢١٢).

وخلوها من القول الظاهر أو العمل الظاهر الذي يتميز به المؤمن من غيره.

فمعتنق هذه العقيدة لو أراد على الأقل أن يكون من المنافقين الذين يعامَلون بالظاهر، فتُقبل منهم علانيتهم، ويُرجأ أمر باطنهم إلى الله؛ لن يتهيأ له ذلك!. وذلك يدل على شدة هزال تلك العقيدة الفاسدة وضعفها.

٢- إنَّ هؤلاء القوم غير مأمونين؛ لشدة تقلبهم واضطرابهم؛ فما يتبناه أحدهم اليوم يقول غداً بضده، فبالأمس خارجيٌّ، واليوم مرجئٌ غالٍ، وغداً ربما يكون ملحداً أو يعود خارجياً، ما لم يتداركه الله بلطفه ورحمته -أسأل الله لي وله وأمثاله الهداية واللطف والثبات على الحق-.

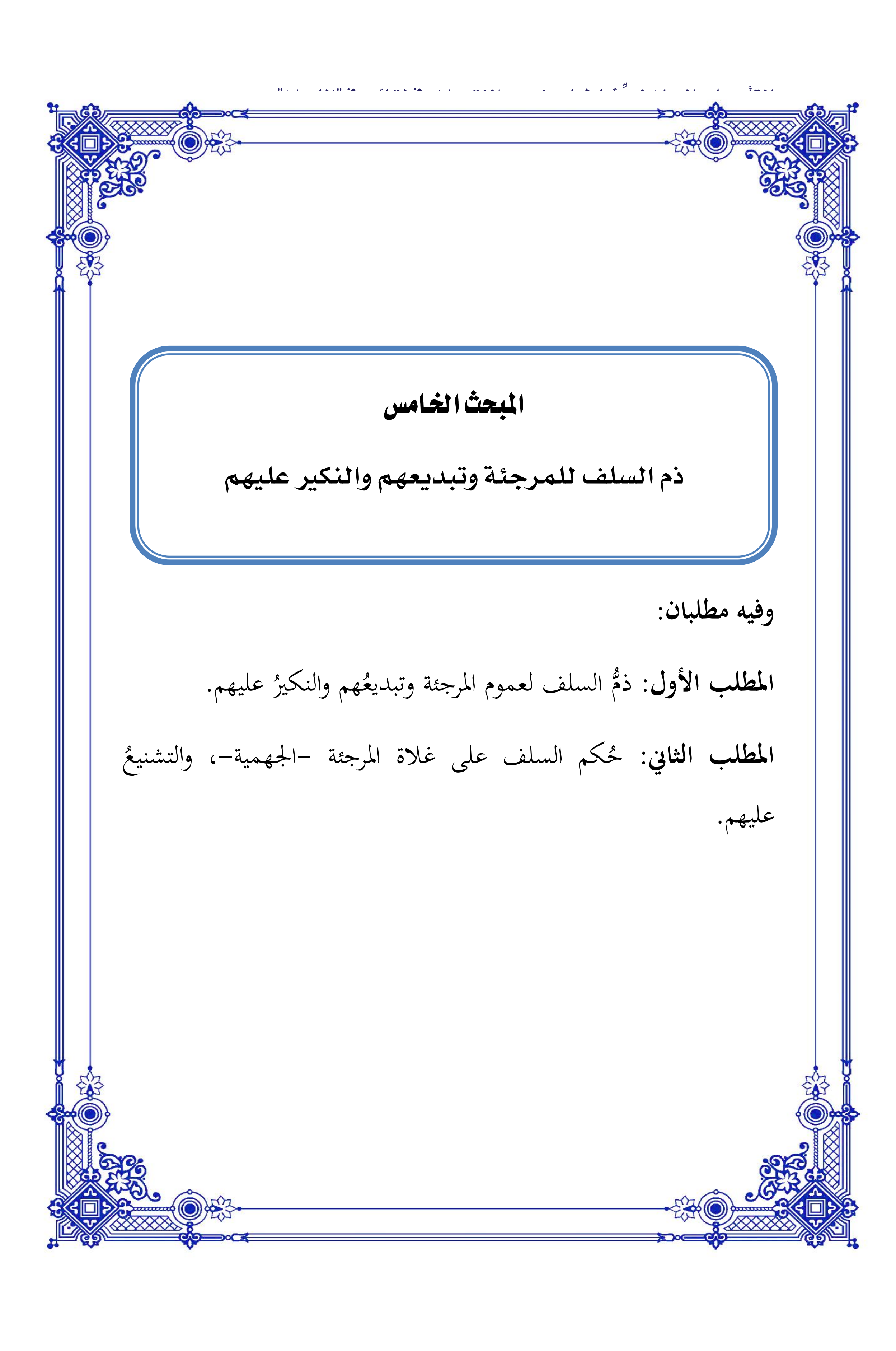
٣- ما تقدم تقريره من حقيقة الإيمان المجمع عليها عند السلف، وأنها مركبة من القول والعمل والاعتقاد، وأنه لا يكون العبد مؤمناً إلا باجتماعها جميعها، وهو ما يخالف فيه هؤلاء ولا يعترفون به.

٤- ما تقدم ذكره من تبني المرجئة لعقائد الخوارج، وتقاطعهم معهم.

٥- إنَّ محاربة التطرف والإرهاب -عقيدةِ الخوارج ومذهبِهم- من أظهر المسائل التي ورد علاجها في الكتاب والسنة ووَضَّحَها السلف أوضحَ بيانٍ وأجلاه.

فقد ورد في الخوارج أحاديث كثيرة متواترة، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بظهورهم، وما يصنعون قبل خروجهم، وبيّن الواجبَ الشرعيَّ في التعامل معهم، وحَفِظَ لنا ذلك سلفُنا الصالحُ في كتبهم، وبَلَّغوه لمن بعدهم، وتناقلوه عبر الأجيال إلى يومنا هذا.

فمن حاد عن هذا السبيل الذي هو سبيل المؤمنين، وأراد أن يعالج الإرهابَ والتطرفَ بتطرفٍ مثلِه فلن يُفلح ولن يُنجح، ولن يستقيم له أمر؛ سنة الله؛ قال الله تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ٤٣﴾ [فاطر:٤٣]. والله أعلم.



المبحث الخامس

ذم السلف للمرجئة وتبديعهم والنكير عليهم

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ذمُّ السلف لعموم المرجئة وتبديعُهم والنكيرُ عليهم.

المطلب الثاني: حُكم السلف على غلاة المرجئة -الجهمية-، والتشنيعُ عليهم.

المطلب الأول:
ذم السلف لعموم المرجئة وتبديعهم والنكير عليهم

أصل انحراف المرجئة كان في إخراج العمل عن الإيمان كما سبق ذكره، ولكن لم يقتصر انحرافهم وضلالهم على ذلك، بل لهم ضلالات أخرى، كقولهم في الاستثناء في الإيمان، وموافقة بعضهم للخوارج في جواز الخروج بالسيف على أئمة الجور.

لأجل ذلك الانحرافِ العقديّ جاء عن السلف الصالح النكيرُ عليهم والتحذيرُ منهم.

فمن ذلك:

قال إبراهيم النخعي رَحِمَهُ اللَّهُ: ((تَرَكَتْ المرجئةُ الدِّينَ أَرَقَّ من ثوبٍ سابريٍّ[1]))[2].

---

(١) السابريّ: "ضرب من الثياب رقيق". منسوب إلى سابور -بحذف الواو عند النسبة-، وهي بلدة فارسية سميت باسم أحد ملوك الفرس الأكاسرة. انظر: الصحاح للجوهري (٦٧٥/٢)، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (١٦٧/٣)، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير(٣٣٤/٢).

(٢) السنة لأبي بكر بن الخلال (١٣٨/٤).

وقال أيضاً: «لَفتنةُ المرجئة على هذه الأمة أخوف عندي من فتنة الأزارقة»[(١)].

وقال أبو بكر بن أبي عاصم رَحِمَهُ اللَّهُ: سمعت المسيب بن واضح رَحِمَهُ اللَّهُ سنة تسع وعشرين ومائتين يقول: «أتيت يوسف بن أسباط، فقلت: يا أبا مُحَمَّد، إنك بقية ممن مضى من العلماء، وأنت حجة على من لقيت، وأنت إمام سنة، ولم آتك أسمع منك الأحاديث، ولكن أتيتك أسألك عن تفسيرها، وقد جاء هذا الحديث: "إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن هذه الأمة ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة"[(٢)]، فما

---

(١) المصدر السابق (٥٦٢/٣)، والأزارقة فرقة من فرق الخوارج، أتباع نافع بن الأزرق الحنفي. انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (ص: ٦٢).

(٢) معنى حديث مشهور روي عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم، منهم: أبو هريرة رضي الله عنه، أخرج حديثه: أبو داود في "سننه" (٣٢٣/٤) برقم: (٤٥٩٦)، والترمذي في "جامعه" (٣٨١/٤) برقم: (٢٦٤٠)، وابن ماجه في "سننه" (١٢٨/٥) برقم: (٣٩٩١).

وهو حديث صحيح، صححه غير واحد من العلماء منهم: الشاطبي في الاعتصام (٦٩٨/٢)، وشيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (٣٤٥/٣) فقال: (الحديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد).

وانظر: تخريجه مفصلاً في سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني(٤٠٢/١-
=

هذه الفرق حتى نجتنبهم؟ فقال: أصلها أربعة: القدرية، والمرجئة، والشيعة، والخوارج، فثمانية عشر منها في الشيعة»[(١)].

وقال يعقوب بن سفيان رَحِمَهُ اللهُ: «الإيمان عند أهل السنة: الإخلاص لله بالقلوب والألسنة والجوارح، وهو قولٌ وعملٌ يزيد وينقص، على ذلك وَجَدْنا كلَّ مَن أدركْنا من عصرنا بمكة والمدينة، والشام، والبصرة، والكوفة، منهم أبو بكر الحميدي، وعبد الله بن يزيد المقرئ في نظرائهم بمكة... - وذَكَرَ جماعةً كثيرةً من السلف في مختلف البلدان- ثم قال: كلهم يقولون: الإيمان القول والعمل، ويطعنون على المرجئة، وينكرون قولهم»[(٢)].

هذه نماذج من المنقول عن السلف في التحذير من المرجئة وتبديعهم وإعلان النكير عليهم، والمنقولُ عنهم في هذا الباب كثير جداً.

وهو مبثوث في كتب السنة والعقائد السلفية المسندة، كتحذيرهم من

---

٤١٤) برقم (٢٠٣ و٢٠٤) و(٣/٤٨٠) برقم (١٤٩٢).

وقد تولى دراسة الحديث دراسةً حديثيةً موسَّعةً الدكتور أحمد سردار شيخ في كتابه: "المباحث العقدية في حديث افتراق الأمم" (١/٧١-٤٣٥)، وخلص من ذلك إلى أن الحديث ثابت عن النبي ﷺ، لا مطعن فيه البتة. انظر: المصدر نفسه:(١/٤٥٣).

(١) السنة لابن أبي عاصم (٢/٤٦٣).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٥/١٠٣٥).

سائر الطوائف المبتدعة.

وأكثر هذه النقول عن السلف واردة في مرجئة الفقهاء، وهم الصنف الثالث من المرجئة.

وأما غلاة المرجئة -وهم الجهمية-؛ فكان تعامل السلف معهم أشد، وهو ما سنراه في المطلب الآتي.

المطلب الثاني
حكمُ السلف على غلاة المرجئة -الجهمية-، والتشنيعُ عليهم

غلاة المرجئة من الجهمية وغيرهم داخلون عند العلماء في ما تقدم من النكير والتحذير دخولاً أولياً.

قال عبدالله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية»[1].

وذلك لما تضمنته عقائدُهم من الكفر الصراح، والزندقة والإلحاد، كقصرهم الإيمان على ما في القلب فقط، وقولهم بالجبر -وهو نفي المشيئة والاختيار عن المخلوق، وأن ما يفعله من السيئات أو الطاعات فهو مجبور عليه-، وقولهم بنفي الأسماء الحسنى والصفات العلى عن الله جل وعلا، وإنكارهم الجنة والنار والميزان. وغير ذلك من العقائد الكفرية الشنيعة.

قال الإمام البربهاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «واعلم أنه إنما جاء هلاك الجهمية أنهم فكروا في الرب، فأَدخلوا لِمَ وكيف، وتركوا الأثر، ووضعوا القياس، وقاسوا الدين على رأيهم؛ فجاءوا بالكفر عياناً لا يخفى أنه كفر، وأكفروا الخلق،

(١) السنة لعبد الله بن أحمد (١/١٧٤).

واضطرهم الأمر حتى قالوا بالتعطيل، وقال بعض العلماء -منهم أحمد بن حنبل رضي الله عنه-: الجهمي كافر، ليس من أهل القبلة، حلال الدم، لا يرث ولا يورث؛ لأنه قال: لا جمعة ولا جماعة، ولا عيدين، ولا صدقة، وقالوا: إن من لم يقل: القرآن مخلوق فهو كافر، واستحلوا السيف على أمة مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم، وخالفوا من كان قبلهم، وامتحنوا الناس بشيء لم يتكلم فيه رسول الله ﷺ، ولا أحد من أصحابه، وأرادوا تعطيل المساجد والجوامع، وأوهنوا الإسلام، وعطلوا الجهاد، وعملوا في الفرقة، وخالفوا الآثار، وتكلموا بالمنسوخ، واحتجوا بالمتشابه، فشككوا الناس في آرائهم وأديانهم، واختصموا في ربهم، وقالوا: ليس عذاب قبر، ولا حوض ولا شفاعة، والجنة والنار لم يخلقا، وأنكروا كثيرا مما قال رسول الله ﷺ، فاستحل من استحل تكفيرهم ودماءهم من هذا الوجه»[١].

لأجل ذلك اشتد نكير السلف عليهم:

وأجمع السلف على كفرهم، وجعلوا حكمهم حكم الزنادقة، فحكموا بقتلهم واستحلال دمائهم وأموالهم.

وحكى الإمام الطبراني رحمه الله اتفاق أهل العلم والسنة على كفر الجهمية القائلين بخلق القرآن، كما حكاه اللالكائي رحمه الله عن أكثر من

---

(١) شرح السنة (ص: ٩٦-٩٧).

خمس مئة عالم من العلماء في الأمصار.

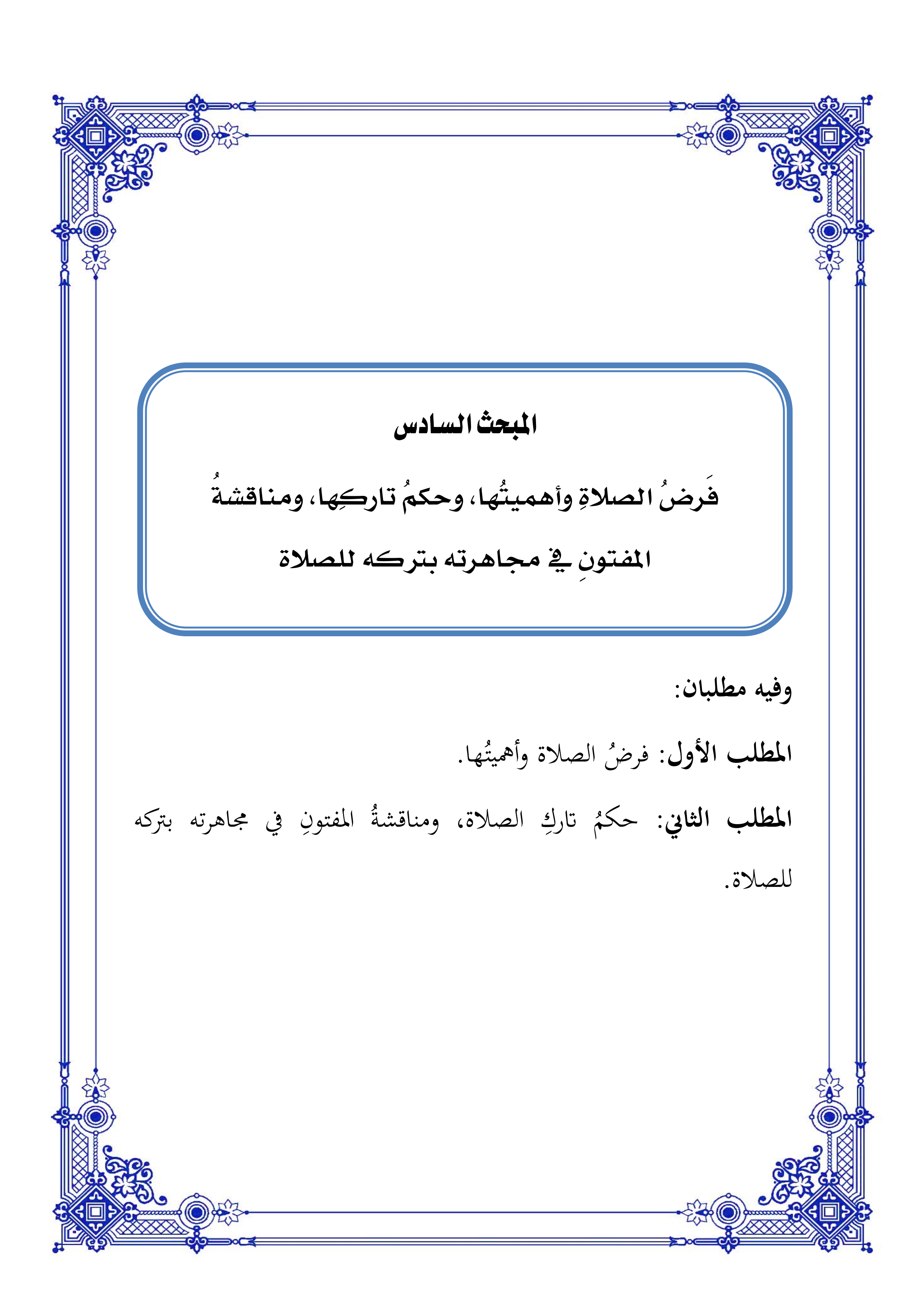
قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته[1] في تكفير الجهمية:

ولقد تَقَلَّدَ كُفرَهم خمسون في عَشْرٍ مِن العلماء في البلدانِ

واللالكائيُّ الإمامُ حكاهُ عَنْـهُمْ بل حكاه قَبْلَه الطَّبَراني

إذا تبين هذا، فمن العجب العجاب أن يأتي ذاك المفتون في آخر الزمان ممن ضل على علم بعد هدى، فيجهر على رؤوس الملأ، ويجاهر في قناة فضائية أنه من غلاة المرجئة، فينتسب إلى قومٍ أجمع العلماءُ على كفرهم، ويتبنى عقائدهم الفاسدة من الجبر والإرجاء الغالي، ويزيد عليهم من الشر شنائع أخرى. والله المستعان.

(١) نونية ابن القيم (ص: ٤٢)، وانظر -لما حكاه الطبراني-: الحجة على تارك المحجة لابن طاهر المقدسي(٢/٤٨٤)، و-لما حكاه اللالكائي-: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة له (٢/٣٠٠-٣٤٤).



المبحث السادس

فَرضُ الصلاةِ وأهميتُها، وحكمُ تاركِها، ومناقشةُ المفتونِ في مجاهرته بتركه للصلاة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: فرضُ الصلاة وأهميتُها.

المطلب الثاني: حكمُ تاركِ الصلاة، ومناقشةُ المفتونِ في مجاهرته بتركه للصلاة.

المطلب الأول:
فرضُ الصلاة، وأهميتُها

مما ذكر ذلك المفتون في لقائه: تركه للصلاة بالكلية منذ سنين، بعد أن كان يصلي الفجر فقط، كما ذكر في اللقاء نفسه أنه يخالف في مفهوم الصلاة، وأن العبادة ليست ممارسة!!

وأكد في اللقاء المذكور على ما قاله في حوار سابق: أن الصلاة يمكن أن يؤديها العبد إيماءً بقلبه!!

فأقول -مستعيناً بالله-: لا يشك مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر في فرضية الصلاة، وأنها عمود الدين، وأساسه العظيم.

ولعظم مكانة الصلاة عند الله جل وعلا أنه سبحانه فرضها في السماء، وتلقى النبيُّ ﷺ فرضيتَها من ربه جل وعلا مباشرةً في ليلة الإسراء والمعراج.

بينما بقية الفرائض فرضت في الأرض.

والصلاة أول ما فرض الله من الفرائض بعد التوحيد، وكان فرضها أولاً خمسين صلاة، ثم خفف الله فريضتها إلى خمس صلوات في اليوم والليلة، كما في حديث الإسراء والمعراج:

عن أنس بن مالك ﷺ قال: كان أبو ذر ﷺ يحدث: أن رسول الله ﷺ قال: «فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل، ففرج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمةً وإيماناً، فأفرغه في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي، فعرج بي إلى السماء الدنيا، فلما جئتُ إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء: افتح، قال: من هذا؟ قال: هذا جبريل، قال: هل معك أحد؟ قال: نعم، معي مُحَمَّد ﷺ، فقال: أرسل إليه؟ قال: نعم، فلما فَتَحَ عَلَوْنا السماءَ الدنيا، فإذا رجل قاعد على يمينه أسوِدَة، وعلى يساره أسوِدَة، إذا نَظَرَ قِبَلَ يمينه ضَحِك، وإذا نَظَرَ قِبَلَ يساره بكى، فقال: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح، قلت لجبريل: من هذا؟ قال: هذا آدم، وهذه الأسوِدَة عن يمينه وشماله نَسَمُ بنيه، فأهل اليمين منهم أهلُ الجنة، والأسوِدَةُ التي عن شماله أهلُ النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى، حتى عرج بي إلى السماء الثانية، فقال لخازنها: افتح، فقال له خازنها مثل ما قال الأول ففتح". قال أنس: فذكر أنه وجد في السموات آدم، وإدريس، وموسى، وعيسى، وإبراهيم –صلوات الله عليهم–، ولم يثبت كيف منازلهم، غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا، وإبراهيم في السماء السادسة. قال أنس: فلما مر جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم بإدريس، قال: مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح. فقلت: من هذا؟ قال: هذا إدريس، ثم مررت بموسى، فقال: مرحباً بالنبي الصالح

والأخ الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا موسى، ثم مررت بعيسى، فقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا عيسى، ثم مررت بإبراهيم، فقال: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا إبراهيم ﷺ. قال ابن شهاب: فأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري كانا يقولان: قال النبي ﷺ: ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام. قال ابن حزم وأنس بن مالك: قال النبي ﷺ: **ففرض الله على أمتي خمسين صلاة، فرجعت بذلك، حتى مررت على موسى، فقال: ما فرض الله لك على أمتك؟ قلت: فرض خمسين صلاة، قال: فارجع إلى ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعني فوضع شطرها، فرجعت إلى موسى، قلت: وضع شطرها، فقال: راجع ربك، فإن أمتك لا تطيق، فراجعت فوضع شطرها، فرجعت إليه فقال: ارجع إلى ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعته فقال: هي خمس وهي خمسون، لا يبدل القول لدي،** فرجعت إلى موسى، فقال: راجع ربك، فقلت: استحييت من ربي، ثم انطلق بي حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى، وغشيها ألوان لا أدري ما هي، ثم أُدخلت الجنة، فإذا فيها حبايل اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك»[١].

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٧٨/١) برقم: (٣٤٩) (كتاب الصلاة، باب:
=

والصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام، ودعائمه العظام، كما في حديث جبريل الطويل حينما سأل النبيَّ -صلى الله عليهما وسلم- عن الإسلام والإيمان والإحسان، فقال: «...يا مُحَمَّد، أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن مُحَمَّدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً...»[1] الحديث.

وكما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما المتفق عليه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان»[2].

وقد جاء الأمر بالصلاة مفردة أو مقرونة بغيرها في آيات كثيرة من كتاب الله، تكرر الأمر بالصلاة فيها أكثر من عشرين مرة، فتارة يأمر الله تعالى عباده بذلك، قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة:٤٣].

كيف فرضت الصلاة في الإسراء)، ومسلم في "صحيحه" (٩٩/١) برقم: (١٦٢) (كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات).

(١) تقدم تخريجه ص (١٤).

(٢) تقدم تخريجه ص (١٤-١٥).

وأحياناً يؤمر النبي ﷺ بذلك، والأمر له أمر لكل فرد من أمته، كما في قول الله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾ [الإسراء: ٧٨]، وقوله سبحانه: ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ﴾ [العنكبوت:٤٥].

وقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ٣١﴾ [إبراهيم:٣١].

وقال الله تعالى للنبي ﷺ أيضاً: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا﴾ [طه:١٣٢].

ولا يقتصر الأمر في القرآن على إقام الصلاة، بل يأمر الله تعالى بالمحافظة عليها، وهذا أمر زائد على مجرد إقامتها؛ إذ يتضمن المحافظةَ على وقتها وشروطها وأركانها وواجباتها وخشوعها، قال الله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾ [البقرة:٢٣٨].

ويأمرنا ربنا سبحانه وتعالى بالاستعانة بالصلاة في الملمات، قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ٤٥﴾ [البقرة:٤٥].

ولم يسقط الله الصلاة عن المعذورين لخوف أو مرض، فأوجب عليهم الصلاة على قدر حالهم.

ففي حق الخائف شُرعت صلاة الخوف، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾ [النساء: ١٠٢].

وفي حق المريض خُفف عنه من أركانها وواجباتها، ولم يُعذر بتركها مطلقاً.

فعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: كانت بي بواسير، فسألت النبيَّ صلى الله عليه وسلم عن الصلاة، فقال: «صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب»(١).

وجاء الوعيد الشديد في إضاعتها، والتفريط فيها، قال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم: ٥٩].

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤٨/٢) برقم: (١١١٧) (أبواب تقصير الصلاة، باب إذا لم يطق قاعداً صلى على جنب).

وقال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝﴾ [الماعون: ٤ – ٥].

وقد كان الصحابة ﷺ يولون الصلاة عظيم اهتمامهم:

فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: ((مَن سَرَّه أن يلقى الله غداً مسلماً؛ فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن؛ فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته؛ لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور، ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد؛ إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة، ويحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف))[١].

فإذا كان هذا حال الصحابة مع صلاة الجماعة، وذاك موقفهم من المتخلف عنها؛ فماذا عسى أن يكون موقفهم ممن لا يصلي بالكلية؟!!!

وبعد: فهذا طرف يسير من النصوص في بيان فرضية الصلاة وأهميتها،

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (١٢٤/٢) برقم: (٦٥٤) (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب صلاة الجماعة من سنن الهدى).

والأمر بإقامتها والمحافظة عليها، والوعيد الشديد في التهاون بها، وفيها أعظمُ واعظٍ وزاجرٍ للمسلم في إقامتها والمحافظة عليها.

فكيف يطيب عيش رجل ينتسب إلى الإسلام، وليس له من هذه الصلاة أي نصيب؟!!

المطلب الثاني
حكمُ تاركِ الصلاة، ومناقشةُ المفتونِ في مجاهرته بتركه للصلاة

دلَّت الأدلة من الكتاب والسنّة على كفر تارك الصلاة.

واتفق العلماء على أنَّ من تركها جاحداً لفرضيتها؛ فهو كافر خارج من ملة الإسلام.

وأما إن تركها تهاوناً وكسلاً مع إقراره بفرضيتها؛ ففي ذلك خلاف بين العلماء:

فمنهم من ذهب إلى عدم تكفيره، ومنهم من حكم بكفره، وخروجه عن ملة الإسلام.

والذي تعضده الأدلة وعليه إجماع الصحابة ﷺ أنَّ تارك الصلاة تهاوناً وكسلاً مرتد خارج عن ملة الإسلام، وأنه يُقتل ردةً.

فمن أدلة الكتاب:

١- قول الله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾ [التوبة: ٥].

قال القصاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ما يستنبط من هذه الآية من أحكام: ((حجة

في أشياء:... والثاني: أن تارك الصلاة والزكاة يكفر في الظاهر؛ لأنَّ الله - جل وتعالى- لم يأمر بتخلية سبيل المشركين، ولا سماهم إخوانَ المؤمنين؛ إلا بإقامة الصلاة والزكاة مع التوبة، وهي ثلاث شرائط. فإذا ترك واحداً أو اثنين لم ينفعه الشرط الباقي، **ولا أعلم بين الأمة خلافاً في أن الخارج من الكفر إلى الإيمان لو قال: أؤمن بالله وأؤمن بأن الصلاة والزكاة حق، ولكن لا أقيمهما، وأقتصر على القول بالشهادة؛ أنه لا يقبل منه، وأنه كافر كما كان حلال الدم والمال**»[١].

وقال ابن القيم رحمه الله -حاكياً وجه الدلالة من الآية على كفر تارك الصلاة، وقتله ردةً عند القائلين به-: «فأمر بقتلهم حتى يتوبوا من شركهم ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة. ومن قال لا يُقتل تارك الصلاة؛ يقول: متى تاب من شركه سقط عنه القتل وإن لم يُقم الصلاة ولا آتى الزكاة. وهذا خلاف ظاهر القرآن»[٢].

٢- وقول الله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۝ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۝ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝ وَلَمْ نَكُ

---

(١) النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام (٤٨٣/١).

(٢) الصلاة وأحكام تاركها (ص: ٣٢).

نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ [المدثر: ٣٨-٤٧].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيناً وجه الدلالة من الآيات: ((فلا يخلو إما أن يكون كل واحد من هذه الخصال هو الذي سلكهم في سقر، وجعلهم من المجرمين، أو مجموعها؛ فإن كان كل واحد منها مستقلاً بذلك، فالدلالة ظاهرة وإن كان مجموع الأمور الأربعة؛ فهذا إنما هو لتغليظ كفرهم وعقوبتهم، وإلا فكل واحد منها مقتضٍ للعقوبة؛ إذ لا يجوز أن يضم ما لا تأثير له إلى ما هو مستقل بها.

ومن المعلوم أن ترك الصلاة وما ذكر معه ليس شرطاً على التكذيب بيوم الدين، بل هو وحده كافٍ؛ فدل على أن كل وصف ذكر معه كذلك؛ إذ لا يمكن لقائل أن يقول: لا يُعذَّب إلا من جمع هذه الأوصاف الأربعة، فإذا كان كل واحد منها موجباً للإجرام وقد جعل الله سبحانه المجرمين ضد المسلمين؛ كان تارك الصلاة من المجرمين السالكين في سقر))(١).

وغير ذلك من الآيات.

(١) المصدر السابق (ص: ٤٥).

ومن أدلة السنة:

١- حديث جابر رضي الله عنه يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»[١].

٢- وحديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر»[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «الكفر الوارد في الصلاة هو الكفر الأعظم؛ لوجوه:

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٦١/١) برقم: (٨٢) (كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة).

(٢) أخرجه النسائي في "المجتبى" (١١٤/١) برقم: (٤٦٢/١) (كتاب الصلاة، باب الحكم في تارك الصلاة) والترمذي في "جامعه" (٣٦٥/٤) برقم: (٢٦٢١) (أبواب الإيمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في ترك الصلاة) وأحمد في "مسنده" (٥٤٣٦/١٠) برقم: (٢٣٤٠٣) (مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث بريدة الأسلمي رضي الله عنه)، وابن حبان في "صحيحه" (٣٠٥/٤) برقم: (١٤٥٤) (كتاب الصلاة، ذكر لفظة أوهمت غير المتبحر في صناعة الحديث أن تارك الصلاة حتى خرج وقتها كافر بالله جل وعلا)، والحاكم في "مستدركه" وصححه (٦/١) برقم: (١١) (كِتَابُ الْإِيمَانِ، التشديد في ترك الصلاة)، وقال الترمذي عقبه: هذا حديث حسن صحيح غريب. وصحح إسناده ابن القيم على شرط مسلم في "الصلاة وأحكام تاركها" (ص: ٥١)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي برقم (٤٦٣).

أحدها: أن الكفر المطلق هو الكفر الأعظم المخرج عن الملة، فينصرف الإطلاق إليه، وإنما صرف في تلك المواضع إلى غير ذلك؛ لقرائن انضمت إلى الكلام، ومن تأمل سياق كل حديث وجده معه، وليس هنا شيء يوجب صرفه عن ظاهره، بل هنا ما تقرره على الظاهر.

الثاني: أن ذلك الكفر منكر مبهم، مثل قوله: "وقتاله كفر"، "هما بهم كفر"، وقوله: "كفر بالله" وشبه ذلك، وهنا عرف باللام بقوله: "ليس بين العبد وبين الكفر، أو قال: الشرك"، والكفر المعروف ينصرف إلى الكفر المعروف، وهو المخرج عن الملة.

الثالث: أن في بعض الأحاديث: "فقد خرج عن الملة"، وفي بعضها: "بينه وبين الإيمان"، وفي بعضها: "بينه وبين الكفر"، وهذا كله يقتضي أن الصلاة حَدٌّ، تُدخله إلى الإيمان إنْ فَعَلَه، وتُخرجه عنه إنْ تَرَكَه.

الرابع: أن قوله: "ليس بين العبد وبين الكفر إلا ترك الصلاة" وقوله: "كان أصحاب محمَّد ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة"[١]؛ لا يجوز أن يراد به إلا الكفر الأعظم؛ لأن بينه وبين غير ذلك مما يسمى كفراً؛ أشياءُ كثيرة، ولا يقال: فقد يخرج عن الملة بأشياء غيرِ الصلاة؛ لأنا نقول: هذا ذُكر في سياق ما كان من الأعمال المفروضة،

(١) سيأتي ذكره وتخريجه قريباً.

وعلى العموم يوجب تركُه الكفرَ، وما سوى ذلك من الاعتقادات؛ فإنه ليس من الأعمال الظاهرة.

الخامس: أنه خرج هذا الكلام مخرج تخصيصِ الصلاة، وبيانِ مرتبتها على غيرها في الجملة، ولو كان ذلك الكفر فسقاً؛ لشاركها في ذلك عامةُ الفرائض.

السادس: أنه بين أنها آخر الدين[(١)]، فإذا ذهب آخره ذهب كله.

السابع: أنه بين أن الصلاة هي العهد الذي بيننا وبين الكفار، وهم خارجون عن الملة ليسوا داخلين فيها، واقتضى ذلك أنَّ مَن ترك هذا العهد فقد كفر، كما أن من أتى به فقد دخل في الدين، ولا يكون هذا إلا في الكفر المخرج عن الملة.

الثامن: أن قول عمر: "لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة"[(٢)] أصرح شيء في خروجه عن الملة، وكذلك قول ابن مسعود وغيره، مع أنه بيّن أن

(١) يشير إلى أثر حذيفة ﷺ: (أول ما تفقدون من دينكم الخشوع، وآخر ما تفقدون منه الصلاة). أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" (١٩/٢٥٤) برقم: (٣٥٩٥٤) (كتاب الزهد، كلام حذيفة ﷺ)، والحاكم في "مستدركه" (٢/٣١٢) برقم: (٣٢٣٧) (كتاب التفسير، ابن أم عبد من أقربهم إلى الله وسيلة) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٢) سيأتي قريباً ذكره وتخريجه.

إخراجها عن الوقت ليس هو الكفر، وإنما هو الترك بالكلية، وهذا لا يكون إلا فيما يخرج عن الملة.

التاسع: ما تقدم من حديث معاذ: "فإنَّ فسطاطًا على غير عمود لا يقوم"، كذلك الدين لا يقوم إلا بالصلاة»[١].

وقال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك أيضاً: «لكن الصحيح الذي قامت عليه الأدلة أنه كفر أكبر، وهو ظاهرُ إجماع الصحابة **قبل من خالفهم بعد ذلك**، وقد حكى عبد الله بن شقيق العقيلي التابعي الجليل الثقة عن أصحاب النبي ﷺ أنهم كانوا لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة[٢]»[٣].

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيناً وجه الدلالة من الحديثين المذكورين سابقاً: «والمراد بالكفر هنا: الكفر المخرج عن الملة؛ لأن النبي ﷺ جعل الصلاة فصلاً بين المؤمنين والكافرين، ومن المعلوم أن ملة الكفر غير ملة الإسلام، فمن لم يأت بهذا العهد فهو من الكافرين»[٤].

وأما المنقول عن الصحابة رضي الله عنهم في كفر تارك الصلاة فآثار كثيرة، وبعضها

(١) شرح العمدة لابن تيمية – كتاب الصلاة (ص: ٨١).
(٢) سيأتي قريباً ذكره وتخريجه.
(٣) فتاوى نور على الدرب لابن باز بعناية الشويعر (١٢٦/١١).
(٤) حكم تارك الصلاة (ص: ٩).

فيه حكاية الإجماع عنهم، فمن ذلك:

١- أثر عمر رضي الله عنه: عن عروة بن الزبير رحمه الله أن المسور بن مخرمة أخبره: أنه دخل على عمر بن الخطاب من الليلة التي طعن فيها، فأيقظ عمر لصلاة الصبح، فقال عمر: «نعم، ولا حظّ في الإسلام لمن ترك الصلاة»، فصلى عمر وجرحه يَثعب دماً[١].

٢- وأثر حذيفة رضي الله عنه أنه «رأى رجلاً لا يُتم الركوع والسجود، قال: ما صليت، ولو مِتَّ مِتَّ على غير الفطرة التي فطر الله مُحَّمداً صلى الله عليه وسلم»[٢].

قال ابن حجر رحمه الله في بيان وجه الدلالة من الأثر على كفر تارك الصلاة: «واستدل به... وعلى تكفير تارك الصلاة؛ لأن ظاهره أن حذيفة نفى الإسلام عمن أخل ببعض أركانها، فيكون نفيه عمن أخل بها كلها

(١) أخرجه مختصراً مالك في "الموطأ" (٥٣/٢) برقم: (١١٧) (كتاب وقوت الصلاة، العمل في من غلبه الدم من جرح أو رعاف) واللفظ له، وأصله مطولاً عند البخاري في "صحيحه" (١٢/٥) برقم: (٣٦٩٢) (كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨٧/١) برقم: (٣٨٩) (كتاب الصلاة، باب إذا لم يتم السجود).

أولى))[1].

٣- ونَقَل إجماعَ الصحابة على كفر تارك الصلاة عبدُ الله بن شقيق -أحد التابعين-؛ فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: ((كان أصحاب مُحَمَّد ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة))[2].

قال الشوكاني رحمه الله -معلقاً على أثر عبدالله بن شقيق-: ((والظاهر من الصيغة أن هذه المقالة اجتمع عليها الصحابة؛ لأن قوله: "كان أصحاب رسول الله" جمع مضاف، وهو من المشعرات بذلك))[3].

٤- وممن نَقل الإجماعَ أيضاً إسحاق بن راهويه رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال مُحَمَّد بن نصر المروزي: ((سمعت إسحاق يقول: قد صح عن رسول الله ﷺ أن تارك الصلاة كافر، وكذلك كان رأي أهل العلم، من لدن النبي ﷺ إلى يومنا هذا؛ أن تارك الصلاة عمداً من غير عذر حتى يذهب وقتها

---

(١) فتح الباري (٢/٢٧٥).

(٢) أخرجه الترمذي في "جامعه" (٤/٣٦٦) برقم: (٢٦٢٢) (أبواب الإيمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في ترك الصلاة)، وابن أبي شيبة في "مصنفه" (١٥/٦٣٢) برقم: (٣١٠٨٦) (كتاب الإيمان والرؤيا، باب). وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١/١٨٣)، برقم (٥٧٩). وانظر: أقوال ذوي العرفان للسناني (ص:٣٠-٣١).

(٣) نيل الأوطار (١/٣٦٣).

كافر))[١].

٥- وقال أيوب السختياني رَحِمَهُ اللهُ: ((ترك الصلاة كفر لا يختلف فيه))[٢].

ويتأكد ذلك بعدم وجود المخالف؛ فإني لم أقف على نقل عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم أو حكاية قول عنهم خلاف ذلك. والله أعلم

وممن حكى إجماعَ الصحابة على كفر تارك الصلاة أو أقره من العلماء المتأخرين: الأئمة: الشوكاني[٣]، وابن باز[٤]، وابن عثيمين[٥] -رحمهم الله جميعاً-.

إذا تبيّن ذلك؛ فأين موقع ذاك المفتون من تلك النصوص وهذا الإجماع؟!

وهو يحكي عن نفسه ترك الصلاة سنين عدداً، ويزعم أن الصلاة يمكن أن تؤدَّى إيماءً بالقلب، ولا تحتاج إلى ممارسة!، ويزعم أن قلبه مطمئن بذلك!!

بل يزعم -مع تلك العظائم والشنائع- أنه الآن أكثر طمأنينة من

---

(١) تعظيم قدر الصلاة (٢/٩٢٩).

(٢) المصدر السابق (٢/٩٢٥).

(٣) انظر: نيل الأوطار (١/٣٦٣).

(٤) انظر: فتاوى نور على الدرب لابن باز بعناية الشويعر (١١/١٢٦).

(٥) انظر: شرح رياض الصالحين (١/٤٠٤).

حاله السابق عندما كان يجلس في العشر الأواخر من رمضان في المسجد الحرام، ويسجد ويقول في سجوده: "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك"؟!

فيا عجباً كيف يزعم الطمأنينة لقلبٍ خاوٍ غاوٍ؟!

والله ليس في قلبه إلا الشك والريب، وليس فيه من الطمأنينة مع ترك الصلاة -وما ذكر عن نفسه من العظائم- مثقال ذرة.

وإن مجرد حكاية كلام هذا المفتون كافٍ في إبطاله، فبطلانه من الظهور بمكان.

ولكن أبيّن هذا؛ من باب قول الله تعالى: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأعراف: ١٦٤]، ولئلا يَغتر بذلك الجاهلون، وما أكثرهم!.

إنَّ الطمأنينة في الشرع لها شأن عظيم، فهي مرتبطة بالإيمان والبر والعمل والذكر، ولها تعلق بالقلب واللسان والجوارح، وليست بهذه السهولة والدعاوى التي يدعيها المدعون.

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد: ٢٨-٢٩].

وقال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ

مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [النحل: ١٠٦].

وقد كان النبي ﷺ «إذا أهمه أمرٌ فزع إلى الصلاة»[١]، ويقول: «يا بلال أرحنا بها»[٢].

وكان ﷺ يُعلِّم أصحابه الطمأنينة بأنواعها: طمأنينة القلب وطمأنينة الأفعال.

فعن النواس بن سمعان الأنصاري رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم، فقال: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك، وكرهت

---

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" (٥٠٧/١) برقم: (١٣١٩) (كتاب الصلاة، باب وقت قيام النبي ﷺ من الليل) وأحمد في "مسنده" (٥٥٣٦/١٠) برقم: (٢٣٧٧٣) (مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث حذيفة بن اليمان عن النبي صلى الله عليه وسلم)، ولفظه: "كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر صلى". وحسَّن إسناده الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٧٢/٣)، والألباني في صحيح سنن أبي داود (١٣١٩).

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" (٤٥٣/٤) برقم: (٤٩٨٥) (كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة)، وأحمد في "مسنده" (٥٤٧٦/١٠) برقم: (٢٣٥٥٨) (مسند الأنصار رضي الله عنهم، رجل من أصحاب النبي ﷺ رضي الله عنه) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٩٨٥).

أن يطلع عليه الناس»[١].

وفي حديث وابصة بن معبد الأسدي مرفوعاً: «البر ما اطمأنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس، وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك»[٢].

ومما جاء في طمأنينة الأفعال: الطمأنينة في الصلاة، وهي ركن من أركان الصلاة:

فعن أبي هريرة ﷺ: «أن رسول الله ﷺ دخل المسجد، فدخل رجل فصلى، فسلم على النبي ﷺ، فردَّ وقال: ارجع فصل؛ فإنك لم تصل. فرجع يصلي كما صلى، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ، فقال: ارجع فصل؛ فإنك لم تصل". -ثلاثاً-، فقال: والذي بعثك بالحق، ما أحسن غيره، فعلِّمْني، فقال: إذا قمت إلى الصلاة، فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٦/٨) برقم: (٢٥٥٣) (كتاب البر والصلة والآداب، باب تفسير البر والإثم).

(٢) أخرجه أحمد في "مسنده" (٤٠٧١/٧) برقم: (١٨٢٨٢) (مسند الشاميين رضي الله عنهم، حديث وابصة بن معبد الأسدي نزل الرقة ﷺ)، والدارمي في "مسنده" (١٦٤٩/٣) برقم: (٢٥٧٥) (كتاب البيوع، باب دع ما يريبك إلى ما لا يريبك). وهو حسن بشواهده كما في صحيح الترغيب والترهيب للألباني (٣٢٣/٢) برقم: (١٧٣٤)، ويشهد له الحديث السابق.

اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، وافعل ذلك في صلاتك كلها»(١).

وكان النبي ﷺ يُطَمْئن أصحابه على مستقبل الإسلام والمسلمين بما أوحى الله إليه، ويبشرهم بانتشار الإسلام مع الأمن والأمان والغنى، وذلك من دلائل نبوته ﷺ:

فعن خبّاب بن الأَرَتِّ ﵁ قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟ قال: «كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيُجعل فيه، فيُجاء بالمنشار، فيوضع على رأسه، فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه. ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليَتِمَّنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١/١٥٢) برقم: (٧٥٧) (كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها في الحضر والسفر)، ومسلم في "صحيحه" (٢/١٠) برقم: (٣٩٧) (كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤/٢٠١) برقم: (٣٦١٢) (كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام).

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه يقول: كنت عند رسول الله ﷺ، فجاءه رجلان، أحدهما يشكو العيلة، والآخر يشكو قطع السبيل، فقال رسول الله ﷺ: «أما قطع السبيل؛ فإنه لا يأتي عليك إلا قليل، حتى تخرج العير إلى مكة بغير خفير، وأما العيلة؛ فإنَّ الساعة لا تقوم حتى يطوف أحدكم بصدقته لا يجد من يقبلها منه، ثم ليقفن أحدكم بين يدي الله، ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له، ثم ليقولنَّ له: ألم أوتك مالا؟ فليقولنّ: بلى، ثم ليقولنّ: ألم أرسل إليك رسولاً؟ فليقولنّ: بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار، ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار، فَلْيتقينَّ أحدُكم النارَ ولو بشِقِّ تمرة، فإن لم يجد فبكلمة طيبة»[1].

فهذه طَمْأنَةُ سيد المرسلين ﷺ لأمته، وهذا تعليمُه أصحابَه الطمأنينة في الصلاة وغيرها، وذاك تطمينه أصحابَه، وتبشيرُهم بما فيه طمأنينة وأمن وأمان وغنى لهم ولمن بعدهم من هذه الأمة.

فأين منها طمأنينة مفتونٍ لا يصلي، ويدعي الإيمان القلبي، ويزعم أنه مع ذلك مطمئن القلب مرتاح!!!

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٠٨/٢) برقم: (١٤١٣) (كتاب الزكاة، باب الصدقة قبل الرد).

أما يخشى هذا المفتون -وأمثاله مِن تاركي الصلاة- أن يكونوا ممن قال الله فيهم: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ [طه: ١٢٤ - ١٢٧].

أما يخشى هذا -وأمثاله من تاركي الصلاة- أن يكونوا ممن قال الله فيهم: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾﴾ [مريم: ٥٩-٦٠]؟

أما يخشون أن يكونوا يوم القيامة ممن يُسلك في سقر من المجرمين؟ ويتساءل عن حالهم أصحاب اليمين: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ [المدثر: ٣٨ - ٤٧].

أما يخشى أحدهم إن مات وهو تارك للصلاة أن يُحشر مع فرعون وقارون وهامان وأبي بن خلف[١].

---

(١) في المعنى حديث أخرجه أحمد في "مسنده" (٣/١٣٨٥) برقم: (٦٦٨٧) (مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما).

فنصيحتي للمردود عليه ومن هم على شاكلته: الأوبة إلى الله، والتوبة إليه من كل ذنب وخطيئة، والعودة إلى حماه؛ بإقام الصلاة والمحافظة عليها؛ فإن الأنفاس معدودة، والآجال محدودة.

ونصيحتي لنفسي ولإخواني المسلمين جميعاً كذلك: المحافظة على هذه الصلوات وأداؤها جماعةً مع المسلمين في بيوت الله حيث ينادى بها؛ فهي أعظم شعائر المسلمين بعد التوحيد.

كما أوصي الجميع بعدم الاغترار بأصحاب الغُرور ممن غرتهم الحياة الدنيا وغرهم بالله الغَرور من شياطين الإنس والجن.

وقد جاء في الأثر عن حذيفة ﷺ: «أول ما تفقدون من دينكم الخشوع، وآخر ما تفقدون منه الصلاة»[١].

قال بعض السلف -معلقاً على هذا الأثر-: «الشيء إذا ذهب آخره لم يبق منه شيء»[٢].

---

(١) تقدم تخريجه ص (١٠٠).

(٢) انظر: شرح العمدة لابن تيمية - كتاب الصلاة (ص: ٨١).



المبحث السابع

التنبيهُ إلى خطر الإلحاد، والردُّ على المفتري في تسويغه

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التنبيه إلى خطر الإلحاد.

المطلب الثاني: الرد على المفتري في تسويغ الإلحاد.

المطلب الأول
التنبيه إلى خطر الإلحاد

مما جناه هذا المفتري على نفسه موقفه المخزي من الإلحاد والملحدين.

فقد قال في لقاء الليوان: ((الإلحاد عقيدة. **عليك أن تحترم الإلحاد**؛ لأنه خيار للإنسان))[١].

وفي حوار سابق له أثنى على عبدالله القصيمي الملحد، فقال: ((**القصيمي أشبه بالأنبياء!!!**؛ إنه أحد الأشخاص القلائل في التاريخ، ينفثون الروح في أجيال تنهل من معين أفكارهم، وتستلهم من مواقفهم وتجاربهم، القصيمي من أولئك الذين تتحول عذاباتهم التي يصوغونها سحراً من البيان، وقصيداً يلامس شغاف القلوب، ويجتث من الجذور ركاماً من القناعات والثوابت والأساطير، بعضهم يشبهه بنيتشه. بخصوصي أحب أن

(١) انظر: حلقة من برنامج الليوان في "خليجية" بعنوان: "حكايا في التحول الفكري" نص اللقاء مع منصور النقيدان المقطع المراد من هذا الرابط:
https://www.youtube.com/watch?v=_ZnWrCB9dN8
نشر اللقاء كاملاً في ٢٢/٠٥/٢٠١٩م.

أؤكد على أمر مهم، أنني لست ملحداً، أنا مؤمن بالله. ولكن فهمي للدين مختلف شيئاً مّا عن الفهم السائد))[١]. انتهى

وإذا كانت العرب تقول في المثل: كاد المريب أن يقول خذوني. فأقول على نسق المثل: كاد الحائم حول حمى الإلحاد أن يقع فيه!! والله المستعان.

ولولا ما قصدته في هذا البحث من التأصيل للحق؛ تثبيتاً للحق، ونصيحةً للخلق، ومن البيان لأباطيل هذا المفتري كذلك؛ لما حَفَلْتُ بهذيانه هذا الذي يكفي في إبطاله مجرد حكايته.

وإن أدنى رجل مسلم يعرف ما هو الإلحاد، ويعرف من هو عبدالله القصيمي الذي أثنى عليه هذا المفتري وشبَّهَه بالأنبياء؛ لِيُدرك شناعةَ قوله هذا وبشاعتَه.

فأقول -مستعيناً بالله-:

أما الإلحاد فهو في اللغة: الميل والانحراف، ومنه اللحد: وهو الشق في جانب القبر[٢].

وفي الاصطلاح: إنكار وجود الله تعالى وأسمائه وصفاته، أو بعض ذلك.

---

(١) انظر: حواراً له بعنوان "لست فقاعة" منشوراً في موقع ايلاف: رابط عادي: https://elaph.com/Web/Interview/2006/3/136004.html

(٢) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (٤/٢٤٣).

وهذا يشمل الإلحاد الخاص، والإلحاد العام، والإلحاد القديم، والإلحاد المعاصر.

أقسام الإلحاد:

ينقسم الإلحاد من حيث العموم والخصوص إلى قسمين:

القسم الأول: الإلحاد العام، وهو نفي وجود الله بالكلية، وهو نوعان:

النوع الأول: الإلحاد القديم، وهذا النوع كان موجوداً بقلة عند الفلاسفة القائلين بقدم العالم، وإنكار الصانع، ومُقَدَّمُهم في ذلك فرعون؛ إذ قال لقومه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص: ٣٨]. فادعى لنفسه الألوهية والربوبية، ونفاها عن الله عز وجل، وهو يعلم في قرارة نفسه أنه كاذب، وأن موسى -عليه السلام- صادق.

وإنما الذي كان سائداً أكثر من الإلحاد؛ هو الشرك بالله تعالى، تحت حُجج مختلفة، مع اعتراف المشركين بوجود الله تعالى، وأنه الخالق المدبر، كما بين الله ذلك في آيات كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٨٥ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٨٧ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ۝٨٩﴾ [المؤمنون: ٨٤ – ٨٩].

النوع الثاني: الإلحاد الحديث، وهو إلحادٌ معاصرٌ ماديٌّ، تَبَنَّتْه دولٌ

ومجتمعاتٌ ومنظماتٌ، وهو قائمٌ كذلك على إنكار وجود الله أصلاً، وقد زعم أهلُه أنهم وصلوا إليه عن طريق العلم والبحث المحسوس، وعن طريق التجربة والدراسة، وزعموا أن الدين لا يوصِل إلى ذلك[1].

القسم الثاني: الإلحاد الخاص، وهو الإلحاد في أسماء الله وصفاته، أو بعض ذلك، مع إثبات وجود الله في الجملة.

ويدخل فيه تعطيلُ المعطِّلَة، وتأويلُ المؤوِّلَة لأسماء الله وصفاته.

وكذلك تشبيه المشبِّهَة، وضلالُهم من الجانب الآخر.

والإلحاد الخاص أنواع:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالإلحاد في أسمائه تعالى أنواع:

أحدها: أن يسمى الأصنام بها، كتسميتهم اللات من الإلهية، والعزى من العزيز، وتسميتهم الصنم إلهاً، وهذا إلحادٌ حقيقةً؛ فإنهم عَدَلُوا بأسمائه إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة.

الثاني: تسميته بما لا يليق بجلاله، كتسمية النصارى له أَباً، وتسمية الفلاسفة له موجِباً بذاته، أو علة فاعلة بالطبع، ونحو ذلك.

---

(١) انظر: المذاهب الفكرية المعاصرة للدكتور غالب عواجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص:١٠٠٨-١٠١٠).

وثالثها: وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص، كقول أخبث اليهود: إنه فقير، وقولهم: إنه استراح بعد أن خلق خلقه، وقولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ﴾ [المائدة: ٦٤]، وأمثال ذلك مما هو إلحاد في أسمائه وصفاته.

ورابعها: تعطيل الأسماء عن معانيها، وجحد حقائقها، كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم: إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفاتٍ ولا معاني، فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحي والرحيم والمتكلم والمريد، ويقولون: لا حياة له، ولا سمع، ولا بصر، ولا كلام، ولا إرادة تقوم به.

وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلاً وشرعاً ولغةً وفطرةً، وهو يقابل إلحاد المشركين؛ فإن أولئك أعطوا أسماءه وصفاته لآلهتهم، وهؤلاء سلبوه صفات كماله، وجحدوها، وعطلوها، فكلاهما ملحد في أسمائه.

ثم الجهمية وفروخهم متفاوتون في هذا الإلحاد؛ فمنهم الغالي والمتوسط والمنكوب، وكل من جحد شيئاً مما وصف الله به نفسَه أو وصفه به رسولُه؛ فقد ألحد في ذلك، فليستقل أو ليستكثر.

وخامسها: تشبيه صفاته بصفات خلقه -تعالى الله عما يقول المشبهون علواً كبيراً-.

فهذا الإلحاد في مقابلة إلحاد المعطلة؛ فإن أولئك نفوا صفة كماله وجحدوها، وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه، فجَمَعَهم الإلحاد، وتفرقت بهم

طُرُقُه»[١].

وقد بيَّن علماء السلف -رحمهم الله- أن الإلحاد الخاص يلزم منه الإلحاد العام، أو هو طريقٌ إليه.

وقد فتن هذا المفتون بهما جميعاً؛ فهو يدعو إلى احترام الإلحاد المعاصر، ويعتبره عقيدة وخياراً يجب احترامه[٢]. وسيأتي الرد عليه في ذلك في المطلب الآتي.

كما أنه يَنسب نفسَه إلى غلاة المرجئة -وهم الجهمية المعطلة-.

وإليك إلزام السلف لهم بالإلحاد العام ونفي وجود الله:

قال مُحَمَّد بن الحسن الشيباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة؛ لأنه قد وصفه بصفة لا شيء»[٣].

وعن حماد بن زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه ذكر الجهمية، فقال: «إنما يحاولون أن يقولوا: ليس في السماء شيء»[٤].

وقال أيضاً: «مَثَلُ الجهمية مثل رجل قيل له: أفي دارك نخلة؟ قال:

---

(١) بدائع الفوائد (١/١٦٩-١٧٠).

(٢) رابط الرد السريع QR:

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٣/٤٨٠).

(٤) أخرجه عبدالله بن أحمد في زوائد مسند أحمد (٤٥/٥٦٦) برقم (٢٧٥٨٦)، وانظر: السنة لأبي بكر الخلال (٥/٩١).

نعم. قيل: فلها خوص؟ قال: لا. قيل: فلها سعف. قال: لا. قيل: فلها كرب؟ قال: لا. قيل: فلها جذع؟ قال: لا. قيل: فلها أصل؟ قال: لا. قيل: فلا نخلة في دارك. هؤلاء الجهمية، قيل لهم: لكم رب؟ قالوا: نعم. قيل: يتكلم؟ قالوا: لا. قيل: فله يد؟ قالوا: لا. قيل: فله قدم؟ قالوا: لا. قيل: فله إصبع؟ قالوا: لا. قيل: فيرضى ويغضب؟ قالوا: لا. قيل: **فلا رب لكم**»[١].

وقال ابن عبدالبر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج؛ فكلهم ينكرها، ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة، ويزعمون أنَّ من أقرَّ بها مشبِّهٌ، **وهم عند من أثبتها نافون للمعبود**»[٢].

قال الذهبي رحمه الله -تعليقاً على قول ابن عبدالبر الآنف الذكر-: «صدق والله؛ فإن من تأول سائر الصفات، وحمل ما ورد منها على مجاز الكلام؛ أداه ذلك السلب إلى تعطيل الرب، وأن **يشابه المعدوم**»[٣].

وقد وصف شيخ الإسلام ابن تيمية تعطيل المعطلة وصفاً بليغاً، فقال

(١) شرح مذاهب أهل السنة لابن شاهين (ص: ٣٣-٣٤)، وانظر: إبطال التأويلات لأبي يعلى (ص: ٥٥)، والحجة في بيان المحجة لقوام السنة التيمي الأصبهاني(١/٤٧٧).

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبدالبر (٧/١٤٥).

(٣) العلو للعلي الغفار للذهبي (ص: ٢٥٠).

رحمه الله -بعد أن ذكر طريقة الرسل وأتباعهم في إثبات الأسماء والصفات-: «وأما من زاغ وحاد عن سبيلهم -يعني: عن سبيل الرسل عليهم السلام- من الكفار والمشركين والذين أوتوا الكتاب، ومن دخل في هؤلاء من الصابئة والمتفلسفة والجهمية، والقرامطة الباطنية، ونحوهم؛ فإنهم على ضد ذلك، يصفونه بالصفات السلبية على وجه التفصيل، ولا يثبتون إلا وجوداً مطلقاً لا حقيقة له عند التحصيل، وإنما يرجع إلى وجود في الأذهان، يمتنع تحققه في الأعيان، فقولهم يستلزم غاية التعطيل وغاية التمثيل؛ فإنهم يمثلونه بالممتنعات والمعدومات والجمادات، ويعطلون الأسماء والصفات **تعطيلاً يستلزم نفي الذات**»[(١)].

وقد توعد الله الملحدين في أسمائه وآياته بأشد الوعيد، فقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف:١٨٠]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ [فصلت:٤٠].

وإذا كانت هذه الآيات واردةً في الإلحاد الخاص المتضمن إثبات وجود إله في الجملة؛ فلا مانع من شمولها الإلحاد العام من باب الأولى؛ لأن من

---

(١) التدمرية لابن تيمية (ص: ١٢-١٦).

نفى وجود الله أصلاً؛ أعظم جرماً ممن نفى عنه أسماءه وصفاته أو بعض ذلك، أو شبهه بخلقه مع إثباته وجود الله في الجملة.

قال ابن جرير رحمه الله -بعد ذكره الأقوال في المراد بالإلحاد في آيةِ "فصلت"-: ((وكل هذه الأقوال التي ذكرناها في تأويل ذلك في قريبات المعاني، وذلك أن اللحد والإلحاد: هو الميل، وقد يكون ميلاً عن آيات الله، وعدولاً عنها بالتكذيب بها، ويكون بالاستهزاء مكاءً وتصديةً، ويكون مفارقةً لها وعناداً، ويكون تحريفاً لها وتغييراً لمعانيها.

ولا قول أولى بالصحة في ذلك مما قلنا، وأن يعم الخبر عنهم بأنهم ألحدوا في آيات الله، كما عمّ ذلك ربنا تبارك وتعالى))[1].

وقد توعد الله الملحدين في الآيات السابقة بمجازاتهم على عملهم، وأخبر أنهم لا يخفون عليه.

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ((وذلك تهديد من الله جلّ ثناؤه لهم بقوله: سيعلمون عند ورودهم علينا ماذا يلقون من أليم عذابنا. ثم أخبر جلّ ثناؤه عما هو فاعل بهم عند ورودهم عليه، فقال: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾. يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين يلحدون في آياتنا اليوم في الدنيا يوم القيامة عذاب النار، ثم قال الله: أفهذا الذي يُلقى في النار خير؟

(١) تفسير الطبري (٢١/٤٧٨).

أم الذي يأتي يوم القيامة آمِناً من عذاب الله؛ لإيمانه بالله جلّ جلاله؟ هذا الكافر، إنه إن آمَنَ بآيات الله، واتبع أمر الله ونهيه، أمَّنَه يوم القيامة مما حذره منه من عقابه إن ورد عليه يومئذ به كافراً.

وقوله: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ وهذا أيضاً وعيد لهم من الله خرج مخرج الأمر»[١].

إذا تبين ذلك؛ فالذي يظهر أن المردود عليه يريد بالإلحاد الإلحادَ المعاصرَ بمعناه العام الذي لا يعترف بإله ولا دين ولا خلق ولا فضيلة، وهو من أسوأ ما عرفته البشرية، ومن أخبث ما وصلت إليه، ومن أفسد ما يكون للأديان والحضارات والقيم والفضائل.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الإلحاد أعظم نكبة طرقت البشر، وإن آثاره الشر الكبير، والإباحية، والفوضوية، وتقويض دعائم العمران، والسير إلى الهلاك والشقاء»[٢].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضاً: «وأعظم الناس انحرافاً عنهما -يعني عن الكتاب والحكمة- ملاحدة الفلاسفة وزنادقة الدهريين، وهم أكبر أعداء الرسل في كل زمان ومكان، وهم شرار الخلق، الدعاة إلى الضلال والشقاء؛ فإنهم تصدوا لمحاربة الأديان كلها، وزين لهم الشيطان علومهم التي فرحوا بها،

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين (ص: ٦٨).

واحتقروا لأجلها ما جاءت به الرسل»[١].

إنَّ الإلحاد أعظم معول لهدم العلوم والمعارف، وإنه مدرجة للإباحية والفوضى العارمة التي لا يبقى وراءها مانع علمي ولا خلقي؛ فلا إله يُذعَن لأمره، ولا رقيب ولا حسيب ولا جزاء، لذلك لم يُنتج الإلحادُ أيَّ سكينة وطمأنينة وسعادة لأحد من البشر، وإنما أورث لأربابه الشكوك العظيمة، والقلق البالغ المؤدي إلى قتل النفس وتخليصها من ضنك العيش والحياة، كما تدل لذلك الإحصائيات والتقارير[٢].

من ذلك يتبين لنا خطر هذا المبدأ الهدام وخطورته على عقيدة المسلم؛ حيث إن الملحد مع اتباعه للخطوات الإلحادية والشبهات الأولى التي تنتهي به إلى زرع الشكوك القوية في قلبه حتى يفقد دينه، بل عقله وإنسانيته حين يتحرر من كل شيء، ويتنصل من كل دين وخلق وفضيلة وأدب بحجة أن لا إله موجود، وأن الدين يقيد حرية الإنسان ويحول بينه وبين رغباته.

وحين يسترسل في تتبع شهواته المبنية على نتائج تلك الشبهات، مع ما يتراكم في قلبه من الشكوك والظنون الشيطانية لا يجد سبيلاً للتخلص

---

(١) المصدر السابق (ص: ٣).

(٢) انظر: الإلحاد... لفضيلة الشيخ أ.د. صالح سندي (ص:٤٩-٥٠).

منها سوى الانتحار، فيخسر بذلك الدنيا والآخرة.

وإن مبدأً قائماً على الشكوك والقلق والاضطراب، وثمرته الانتحار؛ لهو من أفسد المبادئ، وأخطرها على البشر، كما سيأتي الإشارة إلى شيء من ذلك في المطلب الآتي.

المطلب الثاني
الردُّ على المفتري في تسويغ الإلحاد

إنَّ ما زعمه هذا المفتري من تسويغ الإلحاد، والثناء على الملحدين، وأن الإلحاد عقيدة وخيار للإنسان يجب احترامه[1]؛ لهو أمر في غاية العجب.

إذ كيف يَستحسن أقبح الأشياء ويَستسيغ أشنع الجرائم، ويوجب على الآخرين احترام هذه السبيل التي لا سبيل أعوج منها فتقرن بها.

يُقضى على المرء في أيام محنته حتى يَرى حَسَناً ما ليس بالحَسَنِ[2]

أما كون الإلحاد عقيدة؛ فهذا بمجرده لا يتعلق به مدح ولا ذم، ما لم تكن العقيدة عقيدةً صحيحةً راسخةً في القلب رسوخَ الجبال؛ فيُمدح صاحبها، أو تكون بضد ذلك؛ فيُذم صاحبها كذلك.

ولا شك أنَّ الإلحاد من أسوأ العقائد وأشنعها، وأصحابه لا يزالون في

(١) رابط الرد السريع QR:

(٢) البيت منسوب للأمير يحيى بن علي باشا الأحسائي الحنفي (ت: ١٠٩٥هـ). انظر: خلاصة الأثر للمحبي (٤/٤٧٥).

شك وريب من أمرهم؛ فهم من أعظم الناس شكاً وريبة وقلقاً وعيشة ضنكاً، كما قال جل وعلا: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٤].

وقال موسى لفرعون –وهو مُقَدَّمُ الملاحدة–: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾ [الإسراء: ١٠٢].

وقال جل وعلا: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل: ١٣-١٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وأشهر من عُرف تجاهله وتظاهره بإنكار الصانع؛ فرعون، وقد كان مستيقناً في الباطن، كما قال له موسى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾ [الإسراء: ١٠٢]... فلهذا بين لهم موسى أنه معروف، وأن آياته ودلائل ربوبيته أظهر وأشهر من أن يسأل عنه بما هو، فإن هذا إنما هو سؤال عما يُجهل، وهو سبحانه أعرف وأظهر وأبين من أن يُجهل، بل معرفته مستقرة في الفطرة أعظم من معرفة كل معروف، وهو سبحانه له المثل الأعلى في السماوات والأرض، وهو في السماء إله وفي الأرض، فأهل

السماوات والأرض يعرفونه ويعبدونه، وإن كان أكثر أهل الأرض، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦]؛ ولهذا قالت الأنبياء -عليهم السلام- لأممهم: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]، وهذا استفهام إنكار يتضمن النفي، ويبين أنه ليس في الله شك»[١].

وما تقدم ذكره من شك أهل الإلحاد؛ فهو واقع مشاهد، وذكره علماء الإسلام أيضاً عن الفلاسفة وأهل الكلام الذين شكوا في معبودهم وأعرضوا عن الفطر السليمة والأدلة المستقيمة، وراموا إثبات الصانع بعقولهم السقيمة، فلم يزدادوا إلا شكاً في الله، وريبة في قلوبهم، وقلقاً في أنفسهم، وضنكاً في معيشتهم وحياتهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولهذا تجد هؤلاء الذين تتعارض عندهم دلالة العقل والسمع في حيرة وشك واضطراب؛ إذ ليس عندهم معقول صريح سالم عن معارض مقاوم، كما أنهم في نفس المعقول الذي يعارضون به السمع في اختلاف وريب واضطراب»[٢].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ أيضاً: «ثم هذا القول -يعني قول بعض المتحذلقين: طريقة

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٨/٣٨-٤٠).

(٢) المصدر السابق (١/١٧٢).

الخلف أعلم وأحكم-؛ إذا تدبره الإنسان وجده في غاية الجهالة؛ بل في غاية الضلالة. كيف يكون هؤلاء المتأخرون -لا سيما والإشارة بالخلف إلى ضرب من المتكلمين الذين كثر في باب الدين اضطرابهم وغلظ عن معرفة الله حجابهم وأخبر الواقف على نهاية إقدامهم بما انتهى إليه أمرهم حيث يقول:

لَعَمْري لقد طُفْتُ المعاهدَ كلَّها　　　وسَيَّرْتُ طَرْفِي بين تلك المعالِمِ
فَلَمْ أرَ إلا واضعاً كفَّ حائرٍ　　　على ذَقِنٍ أو قارِعاً سِنَّ نادِمِ

وأقروا على أنفسهم بما قالوه متمثلين به أو منشئين له فيما صنفوه من كتبهم كقول بعض رؤسائهم:

نهايةُ إقدام العقول عِقالُ　　　وأكثرُ سعي العالمين ضلالُ
وأرواحُنا في وحشةٍ مِن جسومنا　　　وحاصِلُ دنيانا أذىً ووبالُ
ولم نَستفد مِن بحثنا طولَ عمرِنا　　　سِوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية؛ فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن. اقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، واقرأ في النفي: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ۝١١٠﴾ [طه: ١١٠]، ومَن جرّب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي اهـ. ويقول الآخر منهم: لقد خُضْتُ البحر الخِضَمَّ، وتركتُ أهلَ الإسلام وعلومَهم،

وخُضْتُ في الذي نهوني عنه، والآن إن لم يتداركني ربي برحمته؛ فالويل لفلان، وها أنا أموت على عقيدة أمي اهـ. ويقول الآخر منهم: أكثر الناس شكاً عند الموت أصحاب الكلام. ثم هؤلاء المتكلمون المخالفون للسلف؛ إذا حقق عليهم الأمر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خبر، ولم يقعوا من ذلك على عين ولا أثر-كيف يكون هؤلاء المحجوبون المفضلون المنقوصون المسبوقون الحيارى المتهوكون أعلمَ بالله وأسمائه وصفاته وأحكم في باب ذاته وآياته من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان من ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل وأعلام الهدى ومصابيح الدجى؟!!»[١].

ومما يحكى في هذا الباب عن الفخر الرازي: «أنه دخل بلدة، فاجتمع الناس حوله، وساروا خلفه، ولم يبق أحد سمع بمقدمه إلا أتاه.

فلقي رجلٌ امرأةً عجوزاً في البلد، لم تخرج مع أولئك! فقال لها: الفخر في البلدة ولم تخرجي إليه؟! فقالت: ومن الفخر؟ فقال: هذا الذي أقام على وجود الله ألف دليل! فقالت: **أعوذ بالله! والله لولا شك قد ملأ قلبه، لما طلب لله ألف دليل**. فأُخبر الفخر الرازي بقول المرأة، فقال: اللهم إيماناً

(١) مجموع الفتاوى (٥/١٠-١١).

كإيمان العجائز))[١].

فإذا كان هذا حال المثبتين للصانع بالطرق العقلية حينما حادوا عن السبيل الحق في إثبات وجود الله وربوبيته كيف زاغوا وضلوا وحدث لهم من الشك والريب والتناقض ما لم يخطر على بال؛ فكيف بحال الملحدين أهل الشك التام والريب العظيم؟

فأي عقيدة يا ترى تبقى لمن يمسي على أعظم الشك والريب، ويصبح على مثل ذلك؟

ولقد أحسن القائل[٢]:

فواعجباً كيف يُعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحدُ

ولله في كل تحريكةٍ ... وتسكينةٍ أبداً شاهِدُ

وفي كل شيء له آيةٌ ... تدل على أنه واحدُ

الخلاصة: إن الإلحاد أهون وأذل وأقل وأكذب من أن يسمى عقيدة.

وأما الزعم بأن الإلحاد خيار للإنسان يجب احترامه؛ فأقول لهذا الزاعم المفتري:

كلا والله، وبئس ما زعمت؛ فلم يكن الكفر ولا الشرك -فضلاً عن الإلحاد- خياراً للإنسان في دين الله عز وجل لحظةً واحدةً سوى حالة

---

(١) قمع الدجاجلة ... لعبدالعزيز بن فيصل الراجحي (ص: ٤٧١).

(٢) الأبيات منسوبة لأبي العتاهية، وهي في ديوانه (ص:١٢٢).

الإكراه، كما قال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦﴾ [النحل: ١٠٦].

وما سوى حالة الإكراه؛ فإنَّ الله لم يَرْضَ لعباده الكفر؛ قال تعالى: ﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ﴾ [الزمر: ٧].

ولم يَرْضَ لنا ديناً غيرَ دين الإسلام؛ قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣].

ولم يجعل الله للبشر خياراً في التدين بدينٍ سوى دين الإسلام، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾ [آل عمران: ٨٥].

وأمر جل وعلا الجميع بالدخول في السلم -وهو الإسلام[1]- كافةً، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨﴾ [البقرة: ٢٠٨].

إنَّ الله جل وعلا بعث الرسل، وأنزل الكتب؛ لمحاربة الشرك، وإقامة

(١) انظر: تفسير الطبري (٤/٢٥٧).

التوحيد، وإقامة الحجة على العبيد، ومحاربة المشركين وجهادهم، حتى يدعوا الشرك، ويسلموا ، ويقروا بـ"لا إله إلا الله"، ويقوموا بشرع الله، ويقيموا دين الله، فمن استجاب لداعي الله وأطاع المرسلين؛ كان من الناجين في الدارين، ومن كذب المرسلين من الأمم السابقين حل بهم العذاب الأليم، ولهم في الآخرة عذاب النار.

ومن كذب بالنبي ﷺ من هذه الأمة؛ فمنهم من عذبه الله بعذاب من عنده، ومنهم من عذبه بأيدي المؤمنين بالقتل والأسر في الجهاد، وما ينتظرهم في الآخرة من العذاب أشد وأبقى.

فلم يجعل لهم خياراً سوى التدين بدين الإسلام أو العذاب العاجل أو الآجل.

وجاء في وصايا الأنبياء التمسك بالإسلام -الذي هو ملة إبراهيم عليه السلام- إلى الممات دون التخيير في دين سواه:

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة: ١٣٠-١٣٣].

وهو توجيه الله جل وعلا لهذه الأمة:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

فلم يجعل جل وعلا لهذه الأمة ولا لمن قبلها من الأمم أن تتدين بدين غير دين الإسلام، فضلاً عن أن يجعل لها في الإلحاد والزندقة خياراً.

بل لم يجعل الشارع لليهود والنصارى خياراً في بقائهم على دينهم بعد بعثة النبي ﷺ.

وأمر جل وعلا بجهادهم حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، قال تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٩].

وعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به؛ إلا كان من أصحاب النار»[١].

فأين الخيار الإلحادي المزعوم الذي يجب لهم معه التبجيل والاحترام؟!!

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٩٣/١) برقم: (١٥٣) (كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته).

وإذا كان ذلكم هو تعامل الشارع مع أعداء الله من المشركين واليهود والنصارى وأشباههم؛ فكيف يطمع هذا الأفاك في أن يكون للملحد المنكر لوجود الله أن يبقى على إلحاده معزَّزاً مكرَّماً محتَرَماً؟!! وهو شرٌّ مكانةً ومكاناً وأضلُّ سبيلاً من سائر الكفار.

إن هذا لشيء عجاب، وإن مجرد حكايته أدل على بطلانه من تكلف إبطاله.

إن دين الإسلام الذي جاء به نبينا مُحَمَّد ﷺ ناسخ لجميع الأديان قبله.

فمن خصائص نبوة نبينا مُحَمَّد ﷺ: أنها عامة لجميع البشر، كما قال الله جل وعلا: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨﴾ [سبأ: ٢٨].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «أُعطيت خَمْساً لم يُعطهن أحد قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاةُ فليصلِّ، وأُحِلَّت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأُعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة»[١].

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٧٤/١) برقم: (٣٣٥) (كتاب التيمم ، باب التيمم وقول الله تعالى فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا)، ومسلم في =

وأما ثناء هذا المفتري على الملحد عبدالله القصيمي، وتشبيهه بالأنبياء!؛ فلا أجد في الرد عليه أبلغ من قول الله تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝﴾ [الكهف: ٥].

كيف يُشَبِّه هذا المفتري بالأنبياء ملحداً زائغاً عن الحق بعد الهدى ومات على إلحاده؟!

* **من هو عبدالله القصيمي؟**(١)

هو عبد الله بن علي النجـدي القصيمي ولد في عام ١٩٠٧م، وتوفي ١٩٩٦م / ١٤١٦هـ، قدم أجداده إلى نجد مع جيش إبراهيم باشا عندما هاجمها.

وقد تلقى العلم في نجد وفي عدد من البلدان سواها، منها مصر حيث درس في جامع الأزهر، ونبغ في العلم والدفاع عن الدعوة السلفية.

فمما كتبه من الكتب ذائعة الصيت آنذاك:

- "البروق النجدية في اكتساح الظلمات الدجوية". رد فيه على أحمد الدجوي الأزهري ما سطره من جواز التوسل بأصحاب القبور

"صحيحه" (٦٣/٢) برقم: (٥٢١) (كتاب المساجد ومواضع الصلاة).

(١) ملخص من مقال لمعالي الشيخ صالح العصيمي بعنوان: "ملخص حياة عبدالله القصيمي"، نشر في موقع صيد الفوائد:

 https://saaid.net/bahoth/186.htm

ودعائهم، وبسبب هذا الكتاب فُصل من الأزهر؛ مما دفعه إلى مواصلة الرد على الأزاهرة، فألف فيهم كتابين:

- "شيوخ الأزهر والزيارة في الإسلام".
- و"الفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفيهم".

ومن مؤلفاته القيمة:

- "الصراع بين الإسلام والوثنية" في مجلدين كبيرين، رد فيهما على الكاتب الرافضي السوري محسن العاملي، الذي ألف كتابًا بعنوان: كشف الارتياب في اتباع مُحَمَّد بن عبدالوهاب. تعرض فيه للدعوة السلفية التي أحياها المجدد شيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ولم يلبث أهل الإسلام دهراً حتى انقلب هذا الرجل على عقبيه، وصار يؤلف ضد الإسلام وأهله، ويعلن إلحاده وزندقته؛ فألف:

- "كيف ذلَّ المسلمون".
- "هذي هي الأغلال". وغيرهما من الكتب الإلحادية.

فانبرى له أهل الإسلام، ووقفوا في نحره، وألفوا في الردِّ عليه وكشفِ زيغه.

وممن تصدى له: الإمام السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: "تنزيهُ الدِّيْنِ وحَمَلَتِه ورجالِه مما افتراه القصيميُّ في أغلاله".

ومما قاله رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة الكتاب: ((لقد وقفت على كتاب صنفه القصيمي سماه: «هذي هي الأغلال»، فإذا هو محتوٍ على نبذ الدين، والدعاية إلى نبذه، والانحلال منه من كل وجه، وكان هذا الرجل معروفًا بالعلم والانحياز إلى مذهب السلف الصالح، وكانت تصانيفه السابقة مشحونةً بنصر الحق، والردِّ على المبتدعين والملحدين؛ فصار له بذلك عند الناس مقامٌ وسمعةٌ حسنةٌ، فلم يرع الناس في هذا العام حتى فاجأهم بما في هذا الكتاب الذي نسخ به وأبطل جميع ما كتبه عن الدين سابقاً.

وبعد ما كان في كتبه السابقة معدودًا من أنصار الحق، انقلب في كتابه هذا من أعظم المنابذين له، فاستغرب الناس منه هذه المفاجأة الغريبة لسوابقه))[١].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضاً: ((إنَّ من نظر فيه وتأمله حق تأمله عرف أنه ما كتب أشد وطأة وأعظم عداوة ومحاربة للدين الإسلامي منفراً منه، وأنه ما اجترأ أحد من الأجانب وغيرهم بمثل ما اجترأ عليه هذا الرجل، ولا افترى مفترٍ على الدين كافترائه، ولا خرف أحد نظير تخريفاته، وما صرح أحد بالوقاحة والاستهزاء والسخرية بالدين وأصوله وتعاليمه وأخلاقه وآدابه وحملته كاستهزائه وسخريته؛ فإنه اشتمل على نبذ الدين ومنابذته ومنافقته ثلاثة لا تبقي من الشر شيئًا إلا تضمنته:

---

(١) تنزيه الدين وحملته ورجاله...(ص:٣).

١- صريح في الانحلال عن الدين بالكلية، وخروج تام عن عقائده وأصوله فضلاً عن فروعه.

٢- هو أكبر دعاية للإلحاد. مقاومة للدين وأهله.

٣- فيه من البهرجة والتزويرات التي جعلها في صورة نصر الدين ما يعد من أعظم النفاق والكيد والمكر للإسلام وأهله ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ﴾ [فاطر : ٤٣])[1].

هذا هو القصيمي الملحد الذي مات على إلحاده، الذي يثني عليه هذا المفتري، ويشبهه بالأنبياء!!! فهل هذا المفتون على ملة الأنبياء عليهم السلام؟ أم هو على ملة سلفه الذي يتمدح به، ويشبهه بالأنبياء؟ ﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾﴾[الأنعام: ١٤٣].

والله إنها لجناية عظيمة على الدين، وعلى جناب الأنبياء الكرام أن يُشبِّه هذا الأفاكُ المفتري ذاك الملحدَ بهم؛ فحسبنا الله ونعم الوكيل.

وبعد هذا التطواف مع هذا المفتون؛ تأصيلاً للحق وتأكيداً عليه، وبياناً للباطل وتحذيراً منه؛ يلوح للمتأمل -والله أعلم- أن المردود عليه ومن كان على شاكلته لم يخالط الإيمانُ بشاشةَ قلوبهم، فلم يزالوا في شك من إيمانهم منذ نعومة أظفارهم، كما صرح هذا المفتون في لقائه -موضوعِ الرد- في تلك القناة، ولهم من الشك والريب نصيب وافر، كما كان لأسلافهم من الشك والريب أوفر الحظ والنصيب.

---

(١) المصدر السابق (ص:٦).

وقد قال الله تعالى في أمثال هؤلاء: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥].

قال ابن زيد رَحِمَهُ اللَّهُ في قول الله تعالى في هذه الآية ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾: ((صدّقوا إيمانهم بأعمالهم))[١].

وقال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ في معنى الآية: ((إنما المؤمنون أيها القوم الذين صدّقوا الله ورسوله، ثم لم يرتابوا، يقول: ثم لم يشكوا في وحدانية الله، ولا في نبوّة نبيه ﷺ، وألزم نفسه طاعة الله وطاعة رسوله، والعمل بما وجب عليه من فرائض الله بغير شكّ منه في وجوب ذلك عليه ﴿وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يقول: جاهدوا المشركين بإنفاق أموالهم، وبذل مُهجِهم في جهادهم، على ما أمرهم الله به من جهادهم، وذلك سبيله لتكون كلمة الله العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى.

وقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ يقول: هؤلاء الذين يفعلون ذلك هم الصادقون في قولهم: إنا مؤمنون، لا من دخل في الملة خوف السيف ليحقن دمه وماله))[٢].

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في معنى الآية: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ ((أي: على الحقيقة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى

(١) تفسير الطبري (٣١٩/٢٢).
(٢) المصدر السابق (٣١٨/٢٢).

﴿سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: مَن جمعوا بين الإيمان والجهاد في سبيله، فإن مَن جاهد الكفار؛ دل ذلك على الإيمان التام في القلب؛ لأن من جاهد غيره على الإسلام، والقيام بشرائعه، فجهاده لنفسه على ذلك، من باب أولى وأحرى؛ ولأن من لم يَقو على الجهاد؛ فإن ذلك دليل على ضعف إيمانه، وشرط تعالى في الإيمان عدم الريب –وهو الشك–؛ لأن الإيمان النافع هو الجزم اليقيني، بما أمر الله بالإيمان به، الذي لا يعتريه شك، بوجه من الوجوه.

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ أي: الذين صدقوا إيمانهم بأعمالهم الجميلة؛ فإن الصدق دعوى كبيرة في كل شيء يدعى يحتاج صاحبه إلى حجة وبرهان، وأعظم ذلك دعوى الإيمان الذي هو مدار السعادة، والفوز الأبدي، والفلاح السرمدي؛ فمن ادعاه، وقام بواجباته، ولوازمه؛ فهو الصادق المؤمن حقاً، ومن لم يكن كذلك؛ عُلم أنه ليس بصادق في دعواه، وليس لدعواه فائدة»[١].

وجاء في قصة أبي سفيان مع هرقل عظيم الروم حينما سأله عن أحوال النبي ﷺ وموقف قريش منه. قال هرقل لأبي سفيان: «وسألتك هل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فزعمت أن لا، **وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشتُه القلوبَ لا يسخطه أحد**»[٢].

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٨٠٢).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١/١٩) برقم: (٥١) (كتاب الإيمان ، باب)، =

فليحذر المسلم الحريص على عقيدته من شبه هؤلاء المفتونين، وليثبت على عقيدته الصحيحة، ولا يغتر بكثرة الهالكين والملبسين.

أسأل الله عز وجل أن يهدي ضال المسلمين، وأن يثبتنا جميعاً على الدين القويم إلى يوم الدين.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكان الفراغ من تحريره يوم الأربعاء التاسع من شهر شوال من عام ألف وأربعمائة وأربعين من هجرة نبينا مُحَمَّد ﷺ، في مدينة رسول الله ﷺ.

والحمد لله رب العالمين.

قاله وكتبه:

أبو عبد الرحمن

د. سعود بن مصلح بن حمدي الصاعدي

ومسلم في "صحيحه" (١٦٣/٥) برقم: (١٧٧٣) (كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام).

فهرس الموضوعات

